

كتاب

قصص الأنبياء

المسمى بالعرائس

تأليف الامام العالم العلامة ابن اسحق
أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي
تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

التزام
سعيد على الخصوصي
صاحب المطبعة والمكتبة السعيدة
بجوار الأزهر بمصر

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فاول ماظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى اولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه إحدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه يابنى انها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو في السموات أوفى الارض يأتى بها الله الاية * روي أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كونى فكانت فذلك قوله عزوجل انما أمرنا الشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك نقص منك فى الدين

واسترزق الله مما فى خزائنه فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغن الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها أو القيتهم عن ظهرك اجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الي الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشىء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم ومايسطرون ثم قالوا أن الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فارساها الله بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالي والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى فى الارض رواسي أن تميد بكم يعنى لكيلا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ماخلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فاقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرني ماهذه الجبال التى حولك فقال هى عروقى فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروقى فتتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرنى بشىء من عظمة الله تعالى فقال أن شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرني بادنى مايوصف منها قال ان ورائى لارضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسوا رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامه فاذا أذن الله لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكه صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعنى لا اله الا الله

وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها واطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ انه قال بين كل ارض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وهي سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفي الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بني آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدي الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كاذان المعز وأشعارهم كاصواف الضأن لايعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التي أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده ان فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت قال وهب بن منبه هي مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة أخبرنا أبو بكر بن عبدوس ابن المزني قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيري قال حدثنا علي ابن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج أذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت إلى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول في بكائه الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكني عصيتك اذ عصيتك بجهل وخالفتك اذ خالفتك لشقوتي فالآن من عذابك من ينقذني وبحبل من أتصل اذ انقطع حبلك عني وأذنوباه واغوثاه يا ألله قال منصور فابكاني والله فوضعت فمي على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أن الله

هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم ياأيها الذين آمنو قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الاية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ياهذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عني ياعبدالله لاتجدد على أحزاني فقلت أني أريد هذا لوجه الله الكريم لعلك تستود عيني دعوة فانني منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يامنصور هذا ولدي فقلت وما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب مايكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان اخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل فى هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى اصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى أن لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم أن في جهنم واديا يسمى لظي نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعي فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت ياأيها الذين أمنو قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الاية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته فى المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له مافعل الله بك فقال أعطانى ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كامثال البغال لها أذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا فى كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شيء وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل فى الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلتقى الكافر فتسمه فتتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة واسمها

سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه في أحد جانبيه سموم وفي الاخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء * وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وباموال ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد عجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية قال أبو أسحق قال شبك بيدي أبو بكر محمد بن احمد القطان قال شبك بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبك بيدي ابراهيم بن يحيى قال شبك بيدي صفوان بن سليم قال شبك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شبك بيدي عبد الله بن أبي رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه الأولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى (وأما أسماؤها المذكورة في القرآن) فهي سبعة ايضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أمن جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد

المجوس شاب متطيب يدعي تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحريق الانفس بالناروكان يزعم أن الجسد كثيف منتن فى حالة الحياة فاذامات فلاحكمة فى دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وأن لواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء أن الناس قدافتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبدالله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه اخبرناعن صبي تدعيه امه وحضنته ايهما أولى به فقال له الام فقال أن هذه الارض هى الام منها خلق الخلق فهى أولى بأولادها أن يردوا اليها فافحم المجوسي وأنشد فى معناه لامية ابن أبي الصلت والارض معقلنا وكانت أمنا فيهامقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيي بن معاذ الرازى اذا بن آدم يدرى ان الدنياليست بدارقرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عشه ومنها رزق فهى عيشه واليها يعود فهى كفاته وهى ممر الصالحين الى الجنة

(الباب الخامس فى ذكر مازين الله به الارض)

وهى سبعة أشياء الازمنه وزين الازمنة باربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذوالقعده وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها باربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشائر وزينها أيضا بالانبياء عليهم السلام وزين الانبياء باربعة ابراهيم الخليل وموسي الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا باربعة على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يامعاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ماالشمس وماالقمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان فى كتاب الله تعالى لايفترقان حتى يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا باربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم

أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم باربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنباتات والجمادات

(الباب السادس فى عاقبتها ومالها واخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفى الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحوارى لم يعص الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الاية وقال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفى الحديث أن الارض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله ﷺ وقال يا أهل المدينة أنكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل انتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعنى لفصل القضاء والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي فى المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فرقا من ربها والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال والسادس المد حتى تتخلى وتلقى ما فى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى أن الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الاية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا حماه ويادماه أين أنتما يومئذ

(الباب السابع في وجوه الارض المذكورة فى القرآن)

وهى سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال الله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الاية يعنى بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه

ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض أنى حفيظ عليم وقوله فان ابرح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس فى الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(مجلس فى ذكر خلق السموات ومايتصل به)

وترتيب الكلام فى هذا المجلس ايضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهي السياره والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وابواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين وايتاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك أنى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد أتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن ادم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول في بدء خلق السموات)

يروى فى الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليهم نظرة هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد

الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان
أى قصد ثم فتقها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم
يرالذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثانى فى جواهرها واجناسها)

قال الربيع بن انس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة
من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة
من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق
الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة
وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من
فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم
يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قلوا نتفكر فى الخالق فقال لهم تفكروا فى الخلق
ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في ان الله خلق السموات سبعا
والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل
سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك
كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع فى أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلونه
والخامسة طفطاف والسادسة سماق والسابعة اسحاقائل وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن
فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا
والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع
سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى
كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان (وروى) ان
الملائكة قالت يارب لو ان السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت
آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فاين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت
يارب فاين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى وقد

وردعن الضحاك بن مزاحم الهلالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها ومافيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلي واسمها برقيعا وبينها و بين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذي الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما نقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج و بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفيء النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذو وأجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحي الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما أنقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة لا يحصي عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة

يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائه عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعه غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائه الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهو ثامسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكه وهم أعظمهم سوي الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحه شتي وأنوار شتى فى جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو ان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشه من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها الآية

(الباب السادس فى ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص فى الخاتم وهى مع كثرتها مختلفه الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال

كوكب (وفى بعض الاخبار) مايكون من حيوان فى الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده أنه قال فى العرش تمثال جميع ماخلق الله تعالى فى البر والبحر وقال هذا تاويل قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه وان مابين القائمة من قوائم العرش والقائمه الثانيه لخفقان الطير المسرع ثمانين الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح مابين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح مابين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنه فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فاوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ فى الصور مع أجنحتك وقوتك ماتبلغ ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم إجعلوها فى سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيئا أعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون الف جناح فى كل جناح سبعون الف ريشة فى كل ريشة سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف فم فى كل فم سبعون الف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهى ملتوية به * والكرسى قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروى) على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسى لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لأهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسماعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الباجى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك

لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود وما كنت أخذت منه إلا لأهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له ياعدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمة إذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن إن تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه أنه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور وعرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق و يرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (ويروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة (ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكائن ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وأن في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه و يصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى

قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم فى بعض هي شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة أصلها ثابت فى الجنة وعروقها تحت الكرسى وأغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هى قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجدا أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تجأرون الى الله تعالى

(الباب السابع فى ذكر مآلها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى دردى الزيت والثالث أخبر انها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى إذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى اذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(مجلس فى ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما)

وهو ما أخبره أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرنى أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقى الحافظ

قال حدثنا أبو الحسن احمد بن يوسف السلمى قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبى مريم
الخراسانى قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما هو جالس
ذات يوم من الايام إذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس إنى سمعت العجب من كعب الاحبار
يذكر فى الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار
أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى النار قال عكرمة
فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها
ثلاثا بل هذه يهودية يريد إدخالها فى الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب
أهل طاعته ألم ترا لى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دأبهما فى طاعته
فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان فى طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح
حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم
استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به فى الارض وظل كذلك ماشاء الله
ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول
فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه أحكاما ولم يبق الا آدم
خلق شمسين من نور عرشه فاما ماكان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه
خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ماكان من سابق علم الله أن يطمسها ويحولها
قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها
عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان فى بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا
النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ اجرته ولا يدرى الصائم الى متى
يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم
ومتى وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى
يسكنون راحة لابدانهم وكان الله نظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل عليه السلام فأمر
جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه
النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
فالسواد الذى فى جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من
ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها

ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في اقطار الارض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلي القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعا واولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا اقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا واولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كانه جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تجري الشمس والقمر والخنس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة غمرة ماء ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدأ القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ماشاء الله ان يعصمه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه بابي أنت وأمي يارسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد اقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ماكان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام ياعلي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي ﷺ وان احببتم ان تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور

دورا ناو تسير الجبال سيرا فاذا اطلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها
ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشري اجنحتهم يجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى
على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان
ذلك أو فى الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلى القمر والشمس ويري
العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس
عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع فى غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا
اراد الله تعالى ان يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على
العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا اراد
الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء ويبقى سائر ذلك على
العجلة وهو كسوف دون كسوف وابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب
من الله تعالى فاى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون
على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس
وهم فى ذلك يقودونها فى الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا
لكيلا يزيد فى طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذى
ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذى يعلوه فهو
من غمر ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا اخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلها
فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلى للعالم حتى يحمد الله تعالى على ما قواهم
لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى فى لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا
بها المغرب ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من افق السماء فى العين ثم قال ﷺ
عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول
جبريل عليه السلام لسارة اتعجبين من أمر الله وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين
احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل
باب الى الاخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم
الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق
واسم المدينة التى بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب
من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل فى الحراسة عليهم السلاح

ومعهم الكراع لاتنو بهم تلك الحراسة بعدذلك اليوم الى يوم ينفح فى الصوروالذى.
نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه.
الشمس حين تطلع وحين تغرب من ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم
منشك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج وماجوج وان جبريل عليه السلام،
انطلق بى اليهم ليلة أسرى بى الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى.
والى دينه وعبادته فابوا أن يجيبوني فهم فى النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد.
ابليس ثم انطلق بى الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته
فاجابوا وأنابوا فهم أخواننا فى الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء.
فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابو على،
وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج وماجوج وسائر من عصى الله تعالى فى.
النار فاذا ماغربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة وتحبس
تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها ام من مطلعها وتكسى.
ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى مابين.
السماء السابعة ومابين أسفل درجات الجنان فى سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال.
المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر.
عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت
الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها مابين.
أولها عينا الي اخرها عينا فى الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا رجعت كذلك من.
عين الى عين فى الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها.
ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر
السابع مقدار عدة الليالى فى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرم فاذا كان.
عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من
ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال اصابعه.
قليلا قليلا وهو يراعى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعها ثم ينشر جناحيه.
فيبلغان أقطار الارض وكنفى السماء ويجاوزان ماشاء الله خارجا فى الهواء فيسوق.
ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل.

فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التى تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذاما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا انفخ فى الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتى الوقت الذى وقته الله تعالي لتوبة العباد وتكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشوا المنكر فلا ينهي عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتي يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسها مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة قليلة فى الارض فى كل بلد من بلاد المسلمين فى هوان بين الناس وذلة فى أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلى ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت فى السماء وصارت فى مكانها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول خففت قراءتى ام قصرت صلاتي أم قمت قبل حينى قال ثم يقول فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتى أوخففت قراءتى أوقمت فى أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلى أيضا مثل ورده كل ليله قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت فى أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة فى تلك الليلة فى مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء

والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ماتم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما أن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه. لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكائهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهي منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبى أنت وأمى يارسول الله وماباب التوبة فقال ياعمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الي المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبى أنت وأمى يارسول الله وما التوبة النصوح قال ان يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كانه لم يكن فيما بينهما صدع قط. واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالاصل ولعله الدنيا فليحرر اه مصححه

بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فقال
أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس
والدنيا فقال يا أبي ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما
كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا
ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج
للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى ان ينفخ
فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال
يا حذيفة والذى نفسي بيده لينفخن فى الصور لتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا
يشرع فيه الماء ولتقومن الساعه وقد أخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشربه ولتقومن الساعة
والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع
لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة
قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنه والنار وقبل ان يدخلوهما
يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا فى الزلازل
والبلايا وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامه وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا
كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى
طاعتك وسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا
لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على
نفسي ان أبدىء وأعيد انى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان
ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا اليه فيلمع من كل واحد منهما برقة
تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدىء ويعيد قال
عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى اتيناه
فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجدوه من حديثه وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما مما
بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد
تداولته الايدى وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ
للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشي الي ابن عباس فقال بلغني ما كان
من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا

وانى استغفر الله من ذلك مع اني لم أتقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب ان تحدثني بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا احدثت بشيء من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لا استقرئه فى قلبي بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيئا ولا قدم ولا أخر فزادني ذلك فى ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجلس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول فى ذكر وجوه الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خلق الله الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالي وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فاوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنون خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالي ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (وبروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) ابو الحسن القفال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله الا الله محمد رسول الله

نفسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون * وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله ما خلق أمرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعي بلغني ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا اعلموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا علموا * وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهي غيبت عني أجلي وأحصيت علي عملي ولا أدري الي أي الدارين منقلبي لقد أوقفتني وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتني وقال أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلا فاني له السرور وهو بين البلوى والبلى وقال بعض الحكماء يا ابن ادم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حلف فقال لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله اعلم

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن تأخذ مني شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت ان أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئا فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فاتى الأرض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فامره ان يجعلها طينا

ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى انهار الجنة كلها فلما أخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه و تعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة الف قطرة واربعة وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها اربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل اي صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتي تصويره ثم جعله جسدا والقاه على طريق الملائكة التى تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفى صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة أن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على الوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله ادم عليه السلام فقال خلق رأس ادم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم القاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم ارأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه

الا هلكنه فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدرن وما كنتم تكتمون يعنى ما أظهرت الملائكة من الطاعة وابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وفى الخبر ان جسد ادم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى اولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة * وانشدنا فى هذا المعنى أبو عوانة المهرجانى

يقولون ان الدهر يومان كله   فيوم محبات ويوم مكاره
وماصدقوا فالدهر يوم محبة   وايام مكروه كثير البداثة

وانشدنى ابن الاعرابى فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضى * وسروره   يأتيك بالفلتات

وأنشدنى أبو بكر الصولى لا بن المعتز

اى شىء يكون أعجب من ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

(الباب الثالث فى صفة نفخ الروح)

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ فى ادم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فى فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال فى الرابعة ادخلى كرها واخرجى كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه فاول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتى عام ثم نزلت فى عينيه * والحكمة فى ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى ادم بدء خلقه وأصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت فى خياشيمه فعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فاجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا ادم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتى غضبى ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فاخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف ادم عليه الصلاة والسلام (وفى) بعض الاخبار ان ادم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا ادم مد يده ووضعها على رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا ادم فقال انى أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان

الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة فى أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه و تأوه ثم انتشرت الروح فى جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد و بقيت منه بقية فى أنامله لتيذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى ادم عليه السلام وكان النسر يأتى الحوت فى البحر فيخبره بما فى البر ويخبره الحوت بما فى البحر فلما خلق الله تعالى ادم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت شيأ لينزلنى من وكرى وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بانواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس و نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به فى سمواتى ليري عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شىء من اياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه ادم عليه الصلاه والسلام وجبريل اخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه و اسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم ياملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله و بركاته فقال الله تعالى ياادم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء فى هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شىء حتى القصعة والقصيعه ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

﴿الباب الرابع فى صفة خلق حواء عليها السلام﴾

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه
ويؤانسه فالقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر
يقال له القصيري فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم
من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها
عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون
علمه ماهذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك
قال لانها خلقت من شيء حي قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك
قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي
صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع
على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا
لانهم خلقوا من التراب والطين يزدادون كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام
قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا * وفي بعض الاخبار
أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها
الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت . وروي عن سعيد
ابن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله أن يخلق
جارية بعث اليها ملكين اصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع احدهما يده على رأسها
ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا ورب الله ضعيفة خلقت من ضعيف
المنفق عليها معان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك

قال اهل التاريخ لما اسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة اباح لهما ثمار
الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة الى
قوله فتكونا من الظالمين واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ماهي فقال علي
رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علم
وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس
لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا [illegible] ربهما على أكله من ثمرة تلك الشجرة

حسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أ كلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما
تزيينه ذلك لهما على ماذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس
آدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التى خلقها الله
الى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة
سألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته فى فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته
لجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى مافيها من النعيم والكرامة فقال طيب
كان خلدا فاغتم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم
لجنة حسده وقال ياويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلنى الجنة وهذا خلق
لقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال فى اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب
لجنة و تعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو فى كل ذلك ينتظر
روج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله
الى فى خروج خلق منها فبينما هو كذلك إذ خرج اليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة
ارآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن
ك قال أنا طائر من طيور الجنة إسمى طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من أنت ومم
كاؤك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك
حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتنى ما أنا فيه قال بلى وأنك تفنى وتبيد وكل
لائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق فقال
اوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هى فى الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس
أدلك عليها ان أدخلتنى الجنة قال الطاوس كيف لى بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان
وان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكنى سأدلك على خلق
خلق الله تعالى يدخلكها فانه إن قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة
تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لنا فيه سعادة الابد لعلها
رعلى ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال انى رأيت
الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا
جرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس
لت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول

ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية
الحنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التى نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى و
يدى آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان انه ابليس فناح عليهما نياحة أ
فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما انت
النعيم والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس
بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال
كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما
الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله
لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء
الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روى) محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن
قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدى يقول
سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثنى آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حو
الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبا
الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها و
منها ولم يستثنيا فى قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى انفسهما حتى أكلا
عنها وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول
ابراهيم بن ادهم يقول لقد اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الشبلى اول الذن
هذا ابونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله
اشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما
أالشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سو
وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا فى الجنة فتلقته
العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه افرارا منى يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك
قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة * ويروى أن آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته
باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجر
فاعطته ورقه فطفقا يعنى آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بان
ظاهره وباطنه فى الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين فى كل عام (والثالثة) أوهن جلده

مظلما بعد أن كان جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على انامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر الآية يعنى آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل * ويقال أن الحكمة فى اخراج آدم من الجنة انه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال أن الله تعالى اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة * أخبرنى نافل بن أزفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنوا بعينى راقد ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمي الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا أمكنها وابليس عدولهم جميعا وفيه اشارة الى أن الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية اعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروى أن ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك

ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحد
ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم
أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو
قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الاية (والتاسعة) جعل الدنيا سجنا
ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن لهما بهما عهد لتعودهما
الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج
لا حر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى
الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن ادميك
أنت وبناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان
هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات ادم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع
قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حواء كان
النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينهن
(الخامسة) نقصان عقلها عن أبى سعيد فى حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت
من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلنا له وما نقصان
عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان
عقلها أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها
(السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ
الانثيين (السابعة) تخصيصهن بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدى الرجال
كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام استوصوا بالنساء
خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يملكن ذلك
وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن من الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي
(الثانية عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن
الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشر) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم
عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء أوله عزله من الولاية وكان له ملك

الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة الثانية أخرجه من جواره واهبطه الى الارض الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعد ما كان ملكا الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله السابعة نزع منه المعرفة الثامنة أغلق عنه باب التوبة التاسعة جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة العاشرة جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد أن كانت احسن الدواب وجعل غداءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بنى ادم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها فى الصلاة وفى حال الاحرام * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس منى يعنى الحيات أخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبى الاعين المعبدى عن أبى الاحوص الحسنى قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكانما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وماكان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما هبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكر ان ذروته أقرب من ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان ادم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فجعلت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما انقص من قامته ذلك قال يارب كنت جارك فى دارك ليس لى رب سواك ولا رقيب دونك اكل فيها رغدا وأسلك حيث أحببت فاهبطتنى الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم اهبطتنى الي الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عنى رائحة الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك ياادم فقال ادم ذلك لك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله ادم من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله مارأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع ادم من ذلك

فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشى فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب بلغنى ان ادم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بكى ادم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا اربعين سنة ولم يقرب ادم حواء مائة سنة فلما اراد الله تعالى أن يرحم عبده ادم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه الآية واختلفوا فى تلك الكلمات ماهى فقال ابن عباس هى ان ادم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال ألم تسبق لى رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتنى منها قال لشؤم معصيتك قال اى رب ارأيت ان اناتبت واصلحت ترجعنى الى الجنة فهى الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان ادم قال يارب أرأيت ما اتيته شيأ ابتدعته من تلقاء نفسى اوشىء قدرته على قبل ان تخلقنى بيدك قال لا بل شىء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقى وباب غربى وفيها قناديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى ادم ان لى حرما بحيال عرشى فأته فطف به كما يطاف حول عرشى وصل عنده كما يصلى عند عرشى فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق ادم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز اوقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثنى ابن عباس ان ادم حج من أرض الهند اربعين حجة على رجليه

فقيل لمجاهد ياأبا الحجاج الا كان يركب قال وأى شيء كان يحمله فوالله ان حطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنئونه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحجك ياادم فداخله من ذلك شيء فلمارأت الملائكة منه ذلك قالوا ياآدم اناقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجرة الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكاليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فى أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يأتى بالطيب من الهند واصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروي) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لما اهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بارض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال اجل انما هى دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الادميون قالوا يارسول الله فأين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لايكون فى شيء من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هى دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بارض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها ومامعها فقذفها فى البحر وهي أعظم ماتكون من الدواب غلظها الف ذراع وانما ترمي به كما ترمي البقر اخثاءها فربما تخرج من جوفها العنبرة وزنها الف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم أن أدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فامره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الاالسام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول

لك كل من هـذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضـل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي في جوفك لم تخف وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبريء (قال) أهل الاخبار ان أدم عليه السـلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنـة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره ان يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه ادم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وادم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا ادم عليه السلام وكان أول من نسج ادم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فابونا ادم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من ادم ومن لعنـكم فقد لعن ادم ومن أذاكم فقد أذي ادم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون ادم قائدكم الى الجنة (وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحـكمة تجري في الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان ادم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي أصابك فقال أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين لحمي وجلدي دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين أحمرين والعلاة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والـكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد ادم فطار منه شرارة فوقعت في البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى ادم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم بعد ان غسلت بالمـاء سبع مرات فلما جاء بها في الثامنة نطقت النار فقالت ياادم

انى لا أطيعك وانى منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا ادم انها لن تطيعك
ولكنى أسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحديد
فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية ويروى أن ادم لما أخذ النار احترقت
يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله وأنى لم
أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها
ثلاث حبات من الحنطة فقال يا ادم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ
الانثيين وكان وزن الحبة مائة الف درهم وثمانين الف درهم فقال ادم ما أصنع بهذا كله فقال
يا ادم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا فى الدنيا وبها تلقى
الفتنة أنت وأولادك الى ان تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه
عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على
مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس وبالا فنبت منه
الحمص ورا ثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من
ساعته فقال ادم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال
اكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال اكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال اكله قال لا
وعلمه التنقية فلما نقاه قال اكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال اكله قال
وعلمه العجن ويقال ان ادم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فامره جبريل أن يبث
النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال اكله قال لا فامره ان يحفر
حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك حتى جعله خبز ملة ثم وضع عجينه
عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه قال اكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت
عينا ادم عليه السلام وقال ماهذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذى وعدك فذلك قوله
تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما ان لك ان تأكل من كد
يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى ادم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ماهو
فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه
المعول وقال له احفر الارض فمازال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء
زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا ادم اشرب منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد
ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ماهذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث

الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما اذاه ووجد
ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما انزل الله الى ادم الحديد نظر الى قضيب من حديد
نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فاوقد على ذلك
الحديد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى
ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى ادم
عليه الصلاه والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى
بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل (وقيل)
ان الله تعالى زود ادم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور
وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التى هى فى القشور فالجوز واللوز والفستق
والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التى لها نوى فالخوخ
والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيرا والنبق والزعرور والمقل وأما
التى لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج
والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى ادم عليه السلام ومعه انية
فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس ادم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها
فقال له ادم ويلك أخرجتني من الجنه ولا تريد ان تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال له
وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط ادم من الجنة بثلاثة أشياء
الآسة وهى سيدة رياحين الدنيا وبالسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا وبالعجوة وهى
سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبى ﷺ انه قال ان العجوة
من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى
شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط ادم الى الارض كان اول شيء اكله
من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم ادم وقال لا تصلح المعيشه الا بهما
وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب
أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيرى قال الله تعالى سأجعل فيها
من ولدك من يسبحنى ويحمدنى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح
فيها خلقى ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا ادم من يعبدنى حق عبادتى وسأجعل من
تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمى فاسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وعليه وضعت

جلالى وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمتــه ماحوله ومافوقه وماتحته فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد خفر ذمتى واباح حرمتى واستوجب بذلك عذابى وعقابى وساجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا ياتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى واستضافنى فحق على الكريم ان يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته ياادم تعمره مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح على ظهر ادم بيده واخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ادم ومسح ظهره فاستخرج منه ذريه وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالي اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحي الله الى ادم بعد ما تاب عليه ياادم انى أجمع لك العلم كله فى أربع كلمات واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحده فيما بينك وبين الناس فاما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا وأما التى لك فاجزيك بعملك أحوج ماتكون اليه وأما التي بينى وبينك فمنك الدعاء ومنى الاجابه وأما التى بينك وبين الناس فان ترضى لهم ماترضى لنفسك فقال ادم يارب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فاسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح فى السماء سبح فى الارض فيسبح ادم بتسبيحه (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى ادم لما أراد أن يهبطه الى الارض ياادم انى منزلك انت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فانى أقطع ما تصلون وأما الثانيه فانى أفرق ماتجمعون وأما الثالثة فانى أخرب ماتبنون والرابعة أميت ماتلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب ... وكلكموا يصير الى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء اعور فى احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره ان يتخصر فى الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عميران ابليس قال يارب اخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لا استطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يارب زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدنى قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد سلطته على وانى لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة بعشرة امثالها وازيدها والسيئة بمثلها واحدة وامحوها قال يارب زدنى قال قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآيه قال يارب زدنى قال التوبه لا انزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدنى قال اغفر ولا ابالى قال حسبي (وروي) ان ابليس قال يارب لعنتنى واخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت فى بنى ادم الرسل وانزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهنة قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فما قراءتى قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك مالم يذكر اسمى عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فمنها ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغنى ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم ادم عليه السلام بعد ما اخرج من الجنة فمنها ذريته

(الباب الثامن فى ذكر ماروى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها)

يروى ان ادم التقى بابليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون أى شيء هذا الذى احللت بى غررتنى واخرجتنى من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال ياادم انى فعلت بك ما تقول وانزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما انا فيه واحلنى هذه

المنزلة (ويروى) أن ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفني فقال لا قال فكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الأعلى (ويروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أي الاعمال احب اليك وابغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ احب الى وابغض الي الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن آدمي الا وقد عمل خطيئة أو هم بها الا يحيى بن زكريا فانه ماعمل خطيئة ولا هم بها ولقد قال رب ارنى ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمني شيأ سألته عنه فاوحي الله تعالى الى ابليس ان ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فاتاه وقال يا يحيي أنا ابليس امرني ربي ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيي فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان باكوار كور ههنا وكور ههنا وفى رجليه خلاخيل فقال ماهذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغني أو يغنى له قال فاى ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين يمتلىء شبعا وريا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لا جرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا انصح ادميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على بن أبي طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف اخر يهتف باعلى صوته غسله يا على فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدى الله تعالى حين كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن اخرهم (ويروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم الف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص وأيقظه فقال قم فان الجدار هاهو

يسقط فقال له من أنت الذى أشفقت على هذه الشفقة فقال له انا ابليس فقال كيف هذ وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا ماعلمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت ان تكون منهم فتنال معهم كما ينالون

* (الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل) *

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا الى اخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين واخبار الماضين ان حواء كانت تلد لادم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الاشيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء اربعين من ذكر وانثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته إقليما واخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله فى نسل ادم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده اربعين الفا ورأى ادم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد. واختلف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الاخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الاخر وكان الرجل منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التى ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول الكلبي وادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح لبودا اخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هي اختى ولدت معى فى بطن وهى أحسن من أخت هابيل فانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق باختى فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالي لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما ادم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سالت

جعفر الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين ادم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى
أهبط ادم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهى أول من
بغى فى الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك
قابيل أظهر الله تعالي جنية من الجن يقال لها عمالة فى صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله
الى ادم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الي ادم حوراء فى صورة
انسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركه فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى ادم أن
زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبى ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال
يا بنى ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته على بهواك فقال له ان
كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قلوا وكانت
القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها
وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردأ
زرعه وأضمر فى نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختى ابدا وكان هابيل راعيا
صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر فى نفسه الرضا بالله
والتسليم لامره وقال اسماعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له
مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل
فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تاكل من قربان قابيل حبة لانه لم
يكن زاكي القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع فى الجنة
حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى
قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد
والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك فى نفسه الى أن أتى ادم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتى
مكة قال للسماء احفظي ولدى بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك
لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع ادم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب ادم
أتى قابيل الي هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل
قربانى وتنكح أختى الحسناء وانكح أختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل

ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وماذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (قال) عبيد الله ابن عمران المقتول كان اشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل زاغ هابيل في رؤوس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله قال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعي قال حدثني المطلب عبد الله بن المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده ابدا (وعن الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجرة وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء وأغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمي آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر

من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بنى أنك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل اذاق الموت هابيل ... فوا حزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع ... وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولهارنين ... لهابلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم ... فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا العين ليس يفنى ... عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا ... بموت ليس بالثمن الربيح
ومايغنى البكاء عن البواكى ... اذا ما المرء غيب فى الضريح
فابك النفس وانزل عن هواها ... فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها ... ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك فى رخاء ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتى ومكرى ... الى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى ... يكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعنى أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين

صحيفة وكان وصى ادم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فاخذه بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فاتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان اخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر به واحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال بن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبي برميتي وقتلت ابنى بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدى قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه فى الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل الات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام وبقى نسل شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولده قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه ادم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه ادم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية ادم من ظهره فجعل يعرضهم على ادم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهوا وهو أضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده فى عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بنى ادم وكان عمر ادم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال ادم عجلت على ياملك الموت قال مافعلت بل أنت استوفيت أجلك قال ادم قد بقي من عمرى أربعون سنة قال انك قد وهبتها

لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيئا فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم أن الله أكمل لادم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله ﷺ نسى ادم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحاق وغيره ثم أن ادم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث وأخوته فى مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت فى الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه فى ثلاث ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد ادم من بعده قال ابن عباس فلما مات ادم قال شيث لجبريل صلى على ادم فقال له جبريل تقدم انت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهى تفضيل لادم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات ادم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت ادم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة ادم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع ادم عليهما السلام والله اعلم

(باب فى الخصائص التى خص الله بها ادم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله ادم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه فى أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وامرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته فى الارض وعرف الملائكة فضله عليها ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبي وأول مصطفى وأول خليفة الله فى الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيبعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه ﷺ

وشرف وكره والله أعلم (مجلس فى ذكر النبي ادريس عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) أهل العلم باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش ابن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث. وأمه أشوت وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الله الى السماء على ماقاله ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فاصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خففت عنى حر الشمس فما حال الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فاجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أنه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شىء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان احببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال له انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له انطلق فلا أراك تجده إلا وقدمات والله ما بقى من أجل ادريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فاذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض

روحي فاوحى الله تعالى اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وماهي قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن له فى ذلك فلما اقرب من النار قال لى اليك حاجة قال وماتريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لاأخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبامرى لايخرج فهو حى هنالك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله اعلم (قصة هاروت وماروت)

قال تعالى واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ماعلم آصف ابن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ماملككم سليمان الا بهذه قال السدي وذلك أن شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بنى إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لاينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنوا من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان إن سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا مايصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم

وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء في الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا فقالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله ان يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطئطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدي والكلبي أنها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به الى السماء فقالا لا نصعد إلا باسم الله الاعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما لصاحبه علمها فقال اني أخاف الله فقال الاخر فأين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الإستاذ) فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقال اخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به يحي بن اسمعيل باسناده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي ﷺ اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن

ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى أرمق الكوكب يعنى الزهرة فاذا طلعت فايقظنى فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس وانما كانت التى فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بامرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف) العلماء فى كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من اقدامهما الى أصول افخاذهما وقال مجاهد ملىء جب نارا فجعلا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان فى السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروى) ان رجلا قصدهما لتعليم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أى امة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شىء دخلت فيه من أمر السحر وما تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن اختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكانت تبكي حتى رحمتها ثم قالت اني لا خاف ان أكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقال انما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لا بول ففزعت فلم افعل فرجعت فقالا افعلت قلت نعم فقالا اهل رأيت شيأ فقلت لم أرشيئا فارجعي الى بلادك ولا تكفري فابيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيئا قالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لى اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما اراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم اره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئا ولا قالا لى شيئا فقالا لا تريدين شيئا الا كان خذي هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت افرك ففرك ثم قلت انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت اني لا اريد شيئا الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله ابدا (قال) الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال يا جبريل صف لى النار فقال ان الله تعالى أمر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل اتبكي وانت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من

السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

* (مجلس في قصة نوح عليه السلام) *

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الاية وهو نوح بن لمك ابن متوشلخ بن اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قيناذ بن انوش بن شيث عليه السلام وامه اقينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا ينا كح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث ادم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقرب به أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بني شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا مافعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة اخري لو نظرنا مافعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض واكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم باسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم واطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقى في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكا على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ

ايالك ان يغررك فقال يا ابت مكنى من العصا فاعطاه العصا فقال ضعنى فى الارض فوضعه فمشى
اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بى عبادك فان لم يكن لك فى عبادك حاجة
فاهدهم وان لم يكن غير ذلك فصبرنى الى ان تحكم بينى و بينهم وأنت خير الحاكمين
فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
فايسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا احارم النساء مؤمن فعند
ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الايه الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث
ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا وهى اسماء اصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله
تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا أى هلاكا ودمارا فاجاب الله دعاءه
وامره أن يصنع الفلك كما قال الله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الايه قال نوح
يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى اغرق أهل المعصية
واريح ارضى منهم قال نوح يارب اين الماء قال يا نوح انى على ما أشاء قدير قال
نوح يارب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك
أربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى أرحام نسائهم
فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر أمره ربه ان يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف
أتخذ هذا البيت قال اجعله أزورعلى ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير
وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل أبوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث
طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا
والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان
نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيي عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون
عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألا
ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع
الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم واوحى الله الى
نوح ان عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصانى فاستأجر نوح اجراء يعملون
معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع

وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس.
فى رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهى مسامير الحديد
وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا
حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه ان احمل فيها من كل زوجين اثنين من
أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل
والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور
قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى
حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
الآية (واختلف) العلماء فى قوله تعالى وفار التنور قال على بن ابى طالب رضى الله عنه يعنى طلع
الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الأرض والعرب تسمى وجه
الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع فى الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد
بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت
الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته.
واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة (وروى) السدي عن الشعبي.
انه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد
الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا
على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين وردة وقال
ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل
من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر
أربعين يوما وليلة فاقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له
فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الدرة وآخر
ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقر رجلاه فجعل نوح يقول
ادخل فينهض فلا يستطع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه.
فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك ياعدو
الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج ياعدو الله قال ما أخرج وما كان
بد لك ان تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروي.

ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا أحملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا ان يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فانا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره　　لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش فى الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا وجعل الدرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها الثلاية تلها شىء * واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن ترسوا قال بسم الله فرست واذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فاصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبى) أمر نوح ان لا يقرب ذكر انثى مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناث ممن كانوا امنوا معه وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح فى الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك فى شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كافواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض

حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة
ثم احتمل المـاء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة
لم يركب في السفينة فناداه نوح وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد
كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله
الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن
عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك انها خشيت
عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت قمته فلما بلغها الماء
خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما
الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها في
ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد
رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ
جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الارض تسير
بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد
تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لأمر به
الجودى فلم يغرق فارست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودى (وقال
ابن عباس استوت السفينة على الجودى وقد بادما على وجه الارض من الكفار ومن كل
شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك الا عوج
ابن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج
يحتجب بالسحاب و يشرب منه من طوله و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين
الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عـدو الله فاني لم
أؤمر بحملك وطبق الله الماء على وجـه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق
فلما استوت السفينة على الجودى قيل يا أرض ابلعي ماءك أى انشقي و يا سماء اقلعي
أى احبسي ماءك وغيض الماء أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور

التي فى الارض لانها آخر ما بقي فى الارض من ماء الطوفان و بقى فى الارض اربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله و رسوله اعلم قال هــذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكــذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاثة طبقات طبقــة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقــة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب اوحي الله الى نوح أن أغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منــه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فأ كلاه فلما كثرت الفأر فى السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه توالد فى السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فأ كلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا ياتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعــلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يارسول الله الا ننطلق به الى أهلنا فيجلس معنا و يحــدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنه من عمر نوح ولتتمة ألفى سنة ومائة سنة ومائة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه فى السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها فى العاشر من المحرم فلذلك سمى يوم عاشوراء وأقاموا فى الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال أن نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم فى السفينة من دوام النظر الى الماء فامروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذى خرجوا فيه من السفينة (عن ابن

عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينيه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ فى ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهى اليوم تسمى سوق ثمانين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو فى التوراة وقال عون بن شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولى عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يابنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فاما اللذان انهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهى خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال أن الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقى في حلفت أنى لاأعذب بمثل هذا العذاب أحدا من خلقى بعدها ولكن أجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندى وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له اكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته فى نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له

قوة ولم يبالغ أحدمن الرسل فى الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلاونهاراواعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم والاذى والجفاء مالقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثانى المصطفى ﷺ فى الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفى البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد ﷺ وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يانوح اهبط بسلام مناوبركات عليك وعلى أمم ممن معك الايه (قال) محمد بن كعب القرظي دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث فلما اهبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين فيسون الى شرق النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربي النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

* (مجلس في قصة هود عليه السلام) *

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهى ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض وكثروا وقهروا أهلها لفضل قوتهم التى آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال

تعالى واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هود وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنه فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم عمليق بن سام ابن نوح وكان سيد العماليق اذذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الخبيرى رجل من عاد فلما اقحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قبل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجهلمة بن الخبيرى خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى وأصهارى وهؤلاء

مقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم فاستحيي أن امرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يمنحنا غماما
فتسقي أرض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهمو بخير فقد امست نساؤهمو عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا ولا يخشى لعادى سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركموا وليلكموا تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جهلمة بن الخيبرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد اتبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك مابقينا ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام ذوى رأي ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر كان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعو الله بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعو به وفد عاد وكان قيل ابن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف

من وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجيء لمريض فأداويه ولا لاسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه المنادي يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا الا والدا تتركه ولا ولدا الا جعلتهم رميا همدا الا بنو اللويدة المهدا وبنو اللويدة رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الاخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسين بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فأوحى الله اليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرمة الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لطعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدي بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما

أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيوراً سوداء لتلقيهم في البحر فألقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه ياللك من يوم دهاني أمه

ثبات الوطء شديدا بطشه لولم يجئني جئته وحبسته

فقال له هود ويحك ياخلجان اسلم تسلم فقال له مالي عند ربك إذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان أسلمت أيقيدني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل مارضيت فجاءت الريح فالحقته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقي من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السني أخبرنا ابو يعلى الموصلي أخبرنا اسحق بن أبي إسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري أخبرنا جعفر ابن سليمان الضبيعي أخبرنا فرقد السنجي عن عاصم عن عمرو البجلي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببني فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينماهم عنده إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر بن أخي معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطني براوصدقا فأعطي ذلك وقال قيل أختار أن يصيبني ماأصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أبالي لاحاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذي أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطني عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع

بعرات سمر من اظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ للقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن اخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض مع النسور وقام الى الجبل لينظر مافعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا　　أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فأمسوا　　عطاشا ماتبلهم السماء
وسير وفدهم شهراً ليسقوا　　فاردفهم مع العطش العناء
بكفرهم بربهم جهارا　　على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد　　فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن اذعصوه　　وما تغنى النصيحة والشقاء
فنفسى وابنتاى وأم ولدى　　لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معميات　　على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود　　يقابله صدى والهباء
فابصره الذين له أنابوا　　وأدرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف الحق آل هود　　واخوته اذا جن المساء

ثم أنه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكننى قد حدثت عنه فقال

الحضرمي وماشأنه ياأمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام أخبرنا أبو عمرو وأحمد ابن أبي العراقي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندي أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وأن قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام في تلك البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه نجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الارض فخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانو في سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعوا الهك وندعوا آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم

الى عبدهم ذالك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعوا به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال بها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء و براء عشراء والمخترجة ماشاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح الميثاق انه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم أن صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء و براء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويبايعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب ابن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو ... الى دين النبي دعوا الشهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا ... فهمت أن تجيب ولو أجابا
فاصبح صالح فينا عزيزا ... وماعدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر ... تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بارض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا مع ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادى فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى في حره

وحدته فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البر والحدة فاضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار
فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها
وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهي من بني
عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات
حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن
مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس
عداوة لصالح وكانتا يحتالان في عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما
وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف
ابن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من
أسلم معه من أصحاب صالح ﷺ حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته
على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم
في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما الح عليها قالت
حتى أحاكمك الى بني عمي وذلك ان بني عم زوجها كانوا مسلمين فابت أن تحاكمه اليهم
فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق
وعنيزة احتالتا في عقر الناقة للشقاء الذي كتب عليها فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال
له الحباب فامرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فأبي عليها ثم انها دعت
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس
جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من
أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون أنه كان لزنية رجل يقال
له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له ياقدار أعطيك من بناتي أيما
شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله ﷺ اذ انبعث أشقاها
رجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بمن استعانوا من
ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل
الحجر ودعر بن غنم بن داعرة أخي مصدع وخمسة لم تذكر اسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة

قال السدي وغيره أوحى الله الى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالو ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا الا جرم لا يولد لنا فى هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فأبى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فنري الناس أنا قد خرجنا السفر فنأتى الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فنقتله ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا و يظنون أنا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم فى القرية وكان يأوى الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا أنهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذاهم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية ياعباد الله ماقنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدي وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدار وكان يشب فى كل يوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن

لوكنا ناخذ الماء الذى تشرب به هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعنا كما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فاراداها وطعن فى لبتها ونحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يانبي الله انما عقرها فلان ولاذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ماتناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جره برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء

دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل أن أعيش وان يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان افته فمؤنث أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الأول فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أباهدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يانبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أباهدب فكلموه فى ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت فى الارض فقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق فيهم صغيرا ولا كبيرا الاهلك كما قال عز وجل فأصبحوا فى دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها ألا أن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الاجارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع

فخرجت كاسرع شيء يكون حتى أتت قرحا وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت (وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الاية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى فى الغار فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان فى حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوزا الوادى وقال أهل العلم توفى صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام فى قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى أتدرى من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال ياعلى أتدرى من أشقى الاخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم

﴿ مجلس فى قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ ﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكان اسم أبى ابراهيم الذى سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم ولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

﴿ الباب الاول فى مولد ابراهيم عليه السلام ﴾

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان و ثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان ابن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ و بختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء (وقال السدي) رأى نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها وقال السدي خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب أني أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم

يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت وأن الولد فى موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدي) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام فى ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه فى المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو زريق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام فى المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فأخبرها أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

(الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار وما يتعلق بذلك)

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي يحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال لها فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من

ربي قال أمك قال فمن رب امي قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) ثم قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ماهذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال مالهذه بد من أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالي (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر لانه رأى ضوءها أعظم فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الي نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى مايضر ولا ينفع فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربى كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم أتحاجوني في الله وقد هدانى الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا اباه آزر الى دينه فقال يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا الى آخر القصة فأبا أبوه الاجابة الى مادعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولي إلا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا أتعنى نمروذ فقال لا الذي خلقني فهو يهديني الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعوا الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ماهو قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم اعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد أحييته فقال له

ابراهيم عند ذلك ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيئا ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذي كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى أن حضرهم عيدهم قال السدي كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه وقال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذي أفشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الالهة فاذا في البيت بهو مستقبل باب البهو صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب البهو واذاهم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الالهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الالهة في طعامنا كلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت ألهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذي نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذي فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدي وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منهن فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي ﷺ لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذي عرض لسارة هي أختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم

اياه وهـذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليـه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقالوا قومه ما نراه الا كما قال (قيل) أنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليـه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبدالله بن عمران الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ قومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت و بنوا له بنيانا كالحظـيرة فذلك قوله عزوجل قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابتـه لتحتطبن حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى إبراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائـكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشىء منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى و بينه فلما أرادوا القاءه فى النـار أتاه ملك المياه فقـال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيـدى وأتاه خازن الريح فقـال ان شئت طـيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غـيرى وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم

أن ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالى علمه بحالى حسبي الله ونعم الوكيل وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بأمر الله تعالى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق يومئذ نار فى الارض الا طفئت ظنت انها تعنى قال كعب الاحبار وقتادة والزهري ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئاً الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدي فاخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم فى النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو وقال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى عيشا فى الايام التى كنت فيها فى النار (قال ابن اسحق) وغيره وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو مؤنسه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابى وألبسه القميص ثم اشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج منها قال له ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك فى مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزه فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيئا ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى ولكن

سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبي) ألقي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ستة عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضي الله عنها وهي ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عزوجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخوا ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لايان ورفقا بنت تنويل أمرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لايان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت ملك حران وذلك أن ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عزوجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهو برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عزوجل ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيخ الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

(الباب الثالث في ذكر مولد اسماعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم وأظهار البراءة منهم فقالوا إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبدون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام فى شيء وبذلك أكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فأرسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال ماهذه المرأة منك فقال هى أختي وتخوف أن قال هي امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها أن هذا الجبار قد سألنى عنك فاخبرته أنك أختي فلا تكذبينى عنده فانك أختى فى كتاب الله عز وجل وأنه ليس فى هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما راي الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم أن كان صادقا فاطلق له يده فأطلق الله تعالي يده (وفى بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهى جارية قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انتقل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمنى هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فتلك أمكم يا بنى ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت انى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق عن

عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فأقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين اظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلدة وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء

في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فاخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضرني ولا تسوءني وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام ان يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحوا ليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل ان تتخذ عريشا ثم قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا الجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت

هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم أنها سمعت أصوات سباع الوادي
نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعي
كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا
كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ايل تعني يا الله قد أسمعتني
صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت
فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله
تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى
بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه
السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقي فيها تدخره فقال لها جبريل
عليه السلام انها روى وجعلت أم اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله ﷺ لولا انها
عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فانها
عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا
هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشأم فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا
الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فآنسناك والماء
ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ
لسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة * ثم أن ابراهيم عليه السلام استأذن
سارة ان يزور هاجر وابنها فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام
مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال
لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم
يرجع وكان مولعا بالصيد مخصص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه
السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد
فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم
عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني
شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام

وقولى له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجىء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت نعم جاءنى شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس بن مالك رأيت فى المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح الحرشى قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورها ولولا أن طمس الله نورهما لاضاء ما بين المشرق والمغرب

(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة فذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا

ياعبدالمطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ماأنا بفاعل ان هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ماأصابكم فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا انما رأينا تبع لرأيك فأمر نا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجده من القوة فكل من مات دون صاحبه دفنه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا ياعبد المطلب والله لانخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه و بين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم   انك ان حفرتها لم تندم

وهي تراث من أبيك الاعظم   تسقي الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف و نائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها ووثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلي الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في هذه القرية

نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب
نازعوه فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطيء الموضع فحفر غير بعيد
فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا أنه لم يخطيء فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما
الغزالان اللذان دفنته بها جرهم ووجد فيها أسيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا
معك فى هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا
للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف
قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين
لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التى تضرب بها عند هبل وقام
عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان
على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب
الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب فى الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت
به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفروها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة
ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من أثر اسمعيل عليه
السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة وبدوء أمرها الى وقتنا هذا)

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى أحمد القرانى اخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد
المغربى بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبى
غسان اليمانى حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال
قال اليمانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت
الجنة والبيت المعمور الذي فى السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه
الى يوم القيامه حذاء الكعبة الحرام وأن الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة
وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة
بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى
الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخطى فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث
هنالك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطي فصار

موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فكان آدم إذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات. وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعان فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه أني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم اتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فأسمع ما بين الخافقين فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة أن آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويانس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أن لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة ومكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفار ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نود * قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين

حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه أن ادم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم يرفيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدسك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى وأسميه بيتى أنطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخفر ذمتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا وينجون بالبكاء نجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم أن الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم فى أى موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قام الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لى بيتا فى الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة فوقفت فى موضع

البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هات لى كينا يمنى هات لى حجرا فيقول له اسمعيل هاك فخذه فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى و بنيت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتانى به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسماعيل ائتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فهاك فخذها فأخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أبى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فأجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فأراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فأوحى الله تعالى الى نبينا محمد ﷺ أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتى فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله ممن سبق فى علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق

والمغرب والشام فدعا الى الحج فأجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآيات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها * وكان السبب فى ذلك على ماذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار أن الكعبة كانت رضمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطى نجار فهيأ لهم فى أنفسهم بعض مايصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنوا منها أحد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هى ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائراً فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجوا أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وأن عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر ابن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يامعشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم أن الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم فى هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظره فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شىء فقد رضى الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها اسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا فى البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه فى صفقة دون الاخرى حتى تجاوروا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو اعدى بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا لعقة

الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الى ثوبا فأتوا به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكونى عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون

حطارة مثل الفنيق المزبد ترمى بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف تري صنيع ام فروة تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فنالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وأنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثنى عبد الله ابن زيد قال حدثنى عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا فى رأس رمح له فطارت الرمح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود وقال بعضهم كان السبب فى ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس فى القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده فى تابوت فى خرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة فى خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أم اسماء بنت أبي بكر حدثتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد فى الكعبة الحجر وان

قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فامر به ابن الزبير فحفر فوجدوا اقلاعا أمثال الابل حمر كوامنها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بامر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم ابن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على أنه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو إسحق واليه ذهب من الصحابة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد ابن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهذيل والزهري والسدي (روى) شعبة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود فقال أنا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يا رب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيئا قط الا اختارني عليه وان اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن ووروى حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وقال الآخرون هو اسماعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو

وابو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في ان الذى امر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن ابي رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذى امر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا نجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الخبر عن ابراهيم عليه السلام وما امر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظى فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لى عمر ان هذا الشىء ما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون ابوكم الذى كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذى ذكر أنه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحق لأن اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره فاما الرواة التى روت عنه أن الذبيح اسحق فاخبرنى أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذى فداه الله بذبح عظيم أسحق واخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبانا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدي فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيئا قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بي شيئا وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل ابن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبانا جدى أبو بكر

ابن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الأئمة أنبأ ناعلي بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن ابان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن أختبيء شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن يكون ذلك أعم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت منهادعوتي وذلك أن الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لا تعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة وأما الرواة التي روت عنه ﷺ أن الذبيح اسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصباحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يارسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه أن سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل فهذا ماورد من الاخبار وفي القرآن مايدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على أنه اسحق فهو أن الله تعالى أخبر ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين أنه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على أنه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر ان قرني الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل (وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام) قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي

نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذاهو السبب فى أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام ياأبت أين قربانك فقال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك أى رأيت لفظه مستقبلا ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأي فى المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما امر به وقال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك الاية فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت أشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن وأشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقى ليكون أهون للموت على فان الموت شديد فاذا أتيت أمى فأقرئها منى السلام فان رأيت أن ترد قميصى اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يابنى أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنبع الدموع تحت خده ثم أنه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيئا قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبنى على وجهى فانك ان نظرت الى وجهى رحمتنى وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم أنه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى ياابراهيم قد صدقت الرؤيا الاية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وروى عنهما أيضا أن

الكبش الذى فدي به عن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتي به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميازيب الكعبة قد وحش يعنى يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول. مافدى اسمعيل إلا بكبش من الأروى أهبط عليه بثبير وهى رواية أبى صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروي) أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن أنا آل ابراهيم والا لم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فاتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ماذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حياء من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشى على اثر ابيه فقال له ياغلام هل تدرى اين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله مايريد الا ذبحك قال ولماقال يزعم أن الله أمره بذلك قال له فليفعل ماأمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله أنى لا أرى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابرهيم فقال له اليك عنى ياملعون فوالله لامضين لامر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وأهله شيئا مما أرادو قد امتنعوا منه بعون الله وتأييده وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى في ذلك شعرا

ولابراهيم الموفى بنذر احتسابا وحامل الاجزال

يكره لم يكن ليصبر عنه لو رآه فى معشر اقتتال

ابنى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فذلك حالى

واشدد العضد عند جبذي للسكين جبذ الاسير الاغلال
وله مدية تخايل في اللحم غلاما جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه فكه ربه بكبش حلال
فخذن ذا فدا لابنك اني للذي قد فعلتما غير قالي
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

(الباب السادس في هلاك النمروذ بن كنعان وما احل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) باسانيد مختلفة ان اول جبار كان في الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر بكثيب أعفر فقال لا آخذن من هذا فآتي به أهلي فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فاتي به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو باجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من اين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهي حتى أعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بارجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى أبعدت في الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء

على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللحية البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمي بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شيء تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والارض قربت نفسها الله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وان الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فالقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فلذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن بي حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فأمر الله تعالى الملك ان يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث اربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا اربعمائة سنة فعذبه الله اربعمائة سنة كمدة ملكه ثم أن البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة ازواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان في جبرون

في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة
قد دفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها
قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدين واشيق وشوخ وتزوج
أيضا بامرأة أخري من العرب اسمها حجون بنت اهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ
واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل
بكره وأكبر أولاده فأنزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في
البلاد فقالوا لابراهيم يا ابانا انزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وامرتنا ان ننزل بارض
الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به
ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك
الموت في صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس
ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار
فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها
في عينه مرة وفي اذنه مرة ثم اذا أدخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان
ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يساله الموت فقال للشيخ
حين رأي حاله ما بالك ياشيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم انت قال
كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما
بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل
ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل
مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان
(روى) في الحديث أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ياسيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان
وكان لا يتغذي ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته
قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية
وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل

واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الاخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وهو المبتلي بانواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقالوا براهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الاية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الاية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية وهو أول من اختتن قال أبو منصور الحمشاري حدثنا أبو عباس بن المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ علي بن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل أخبرنا الحسين الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل ابن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحي الله تعالى الي ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا سجدت فلا تر الارض

عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ماهذا قال الوقار فقال يارب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوّأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو الذي كان اذا سار وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه و بينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسي حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال الله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروي) أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي

فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ماقدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه شرمن عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

(مجلس في ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل و بلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ماقدمناذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيدار واديبل و بسام ومسمع وذوما ومسا وحراه وفيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيدار ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فاوحى الله تعالى اليه أني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن * وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولها قصة عجيبة على ماذكره السدي قال حملت رفقا في بطن واحد بغلامين فلما أرادت أن تضع أقتتل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فاقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان وكان عيص أحبهما الى أبيه و يعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعالي به أبي وكان عيص رجلا أشعر و يعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها

والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له ادن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل فى ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذى أردته فقال يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يا بنى قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير فى الليل ويكمن فى النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهى الكبرى وراحيل وهي الصغري فقال له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب تزوجنى راحيل لانها أصغر ولا جلها أخدمك فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو فى نادمن قومه فقال له غررتنى وخدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختى أردت أن لا يدخل على فى ذلك العار والبسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمنى سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسي وانزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمى بنيامين لان أمه راحيل ماتت فى نفاسها ويامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنته حين جهزها الى يعقوب أمتين يقال لاحداها زلفة والاخري بلهة فوطىء الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالى ور وبالون وولدت له بلهة جاد ويشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثنى عشر

رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه الا خيرا فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل فى الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمي ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام فى مزرعة جبرون والله أعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

بسم الله وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخى ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا ولا ذاك ألوط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر اهل العلم باخبار الانبياء وذكر وهب فى المبتدأ انه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارخ أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارخ وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا اعودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة مع

من ورد بلدهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم
على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريق
وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على الطريق (وروى) أبو صالح عن ام
هانىء قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق
فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك
ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ماهم عليه ويأمرهم بالتوبة منه
ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا
واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجاب
الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم
عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه
السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن
الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب
عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس
وغيره أنهم لما قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة
مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها مائتا
مؤمن قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها اربعون
مؤمنا قالوا لا قال افتهلكون قرية فيها اربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم اربعة
عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه (وروى) سعيد عن ابن عباس قال قال الملك
لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال
للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه واهله الا
امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى
نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى ارض له يعمل فيها قال قتادة راويا عن حذيفة ان الله
تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاتوه فقالوا انا
متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال اوما بلغكم امر هذه القرية قالوا
وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما اعلم على وجه الارض اناسا اخبث منهم

قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انه سيحتاج الى المدافعة عن اضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد (قال السدي) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تستسقى الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا أن العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيؤا النار ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها باضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون

الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة اذ فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا اللوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما اصبحوا ادخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد أى ممن يفعل كفعلهم أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا مخلد ابن جعفر الباقر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا اسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التى أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصى عن صفوان بن عمر وقال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضى حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطى قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه وكان الرجل منهم يتحدث فى قريته التى يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقواماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين فى العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الاية (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق

يقول الا امرأته كانت من الغابرين أى خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورة ودومة وساعورا فاما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هـذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات أى المنقلبات وأما القرية الخامسة فانها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط (وروي) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام أن الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرنى عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي فى الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع قال أن رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيرى (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفى أخبرنا أبو عثمان بن احمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز اخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فتحويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق ابن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقى أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه فى الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط أنما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

(مجلس فى قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الاية قال سعيد بن أبي وقاص قالت

الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الاية فدلهم الله تعالى فى هذه الاية على أحسن القصص واختلف العلماء فى سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الاية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهون عليه قال الشاعر

ان الذى سمك السماء بنى لنا   بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة وأجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص ثم اختلفوا فى وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن مافيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن مما فى التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ماتضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف أخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عند ذكر ماتعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(الباب الاول فى ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم)

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفى بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق

ابن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا فى معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبرى فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربى سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمى يوسف

(الباب الثانى فى صفة يوسف صلى الله عليه وسلم وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية (أخبرنا) أبو عبدالله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثنا عمارة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى الى السماء فرأيت يوسف فقلت ياجبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يارسول الله قال كالقمر ليلة البدر واخبرنى الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا ابى اخبرنا يعقوب اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف وأمه شطر الحسن وعن ابى اسحق بن عبدالله ابن ابى فروة قال كان يوسف اذا سار فى ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفى يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره سبعون الف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهى من هذا الكريم الذى أبحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته ياآدم أنحله قال ياآدم قد أنحلته ثلثى حسن ذريتى ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبله بين عينيه وقال يابنى لا تأسف فانت يوسف فاول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذى كان انتزعه منه وذلك

أن الله تعالى أحب أن يري العباد أنه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال مالم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتاويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذى يرى فى المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كانها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال أنه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة مالم يعطه احدا من العالمين وأنه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها فى حلقه وفى صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو أحسن فى عيني من القمر

(القول فى القصة)

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم

يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا فلما كبر وشب قال لأبيه يا نبي الله أنه ليس أحد من
اخوتي الا وله غصن الا انا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه
الى السماء وقال اللهم اني أسالك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته
فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال
ليوسف خذ هذا فكان يوسف ياخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى
النائم وهو اذ ذاك صبي كان قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل
ثمرة ثم اتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف
اقصرها واصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على اغصان اخوته ثم هبت
الريح فاقتلعت اغصان اخوته من اصولها والقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض
قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له ابوه ما الذى دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته
فقالوا يا ابن راحيل لقد رايت عجبا يوشك تدعى انك مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم
رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن
سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا في كتابه اذ قال
تعالى إذ قال يوسف لأبيه يا ابت إني رأيت احد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه
فبينما يوسف نائم عند ابيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى في كتابه
العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره
وقبل بين عينيه وقال يا حبيب ابيه ما الذى اصابك فقال يا ابت رأيت رؤيا افزعتني فقال
يا بني خيرا ما رأيت ما الذى رأيت قال يوسف رأيت كان أبواب السماء فتحت وقد أشرق
منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت
الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت
كان مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا
انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لى ساجدين فقال يعقوب يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل
الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكتمى
ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم
أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا

على يوسف وقالوا ماعنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان
ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك
قيل فى الحكمة لا تأمنن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم
ابن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود
يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف
ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشىء حتى نزل جبريل عليه السلام
فاخبره باسمائها فارسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك باسمائها أتسلم قال نعم فقال له
جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والنزغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق
والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيئا مشتتا
ويجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن
ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك
تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم
فى أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى
قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين أى
خطأ بين فى إيثاره يوسف وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل
منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة
الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسين أيحسد
المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الأب جلاب والأخ سلاب
فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى
البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أبا لكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا
بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا
على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف
ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا
نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه الى ذلك
حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى أبى واسألوه أن يرسلنى معكم

فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسالوه حاجة
فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف وانا
له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك أرسله معنا غدا يرتع ويلعب فى الصحراء وانا
له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم
عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لأنه رأى فى منامه
كأن يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب
منها يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة
ايام فلما راى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم واخاف ان
يأكله الذئب (اخبرنا) الحسين بن محمد بن فنحويه اخبرنا عبد الله بن شيبة اخبرنا ابو
نعيم عن عبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى اخبرنا مالك بن
سليمان القروى اخبرنا عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل
الانسان حتى لقنهم ابوهم فلما لقنهم وقال انى اخاف ان يأكله الذئب قالوا اكله الذئب
فقال بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون
ثم قالوا يا نبي الله كيف يأكله الذئب وفينا شمعون إذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح
واذا صاح لا تسمعه حامل إلا وضعت ما فى بطنها وفينا يهوذا إذا غضب شق السبع نصفين
فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمان اليهم واقبل يوسف حتى وقف بين يدى ابيه ثم قال
له يا ابت ارسلنى معهم قال او تحب ذلك يا بنى قال نعم قال اذا كان غدا اذنت لك فى ذلك
فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته واخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد
يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زاد اليوسف وخرج ليشيعهم
فقالوا يا نبى الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم
بالله ان جاع أطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا
متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كذلك ولدوهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك
اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتى عليكم مع انى خائف أن أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على
يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين
وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب

النبي ﷺ واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن بن بحيرة.
عن كعب الاحبار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا
أرسل يعقوب يوسف مع أخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية
أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا
يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى
كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني فلم
يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس أحد منهم
يعطف عليه جعل يصيح و يقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ماتصنع بابنك بنو الآباء فلما هموا
بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس أنكم قد أعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه في الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا
أن يجعلوه في غيابة الجب فانطلقوا به الي الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الاردن
بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق في وادمن اوديتها على ثلاثة
فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من
طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن
نوح و يسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير
البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أستر به عورتي
ويكون لي كفنا بعد مماتي وأطلقوا يدي اطردبهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك و تؤنسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا
الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململمة لينة رفعها الى
يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فاجابهم فهموا أن
يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه قالوا فلما
القي يوسف في الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب و بعث
الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقي في النار جردمن ثيابه وقذف في النار
عريانا فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف
جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان

لا يفارقه فلما ألقى فى الجب عريا ناجاء الملك وكان عليه التعويذ فاخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجلة من الجنة فاطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عنى أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ ياصريخ المستصرخين ياغياث المستغيثين يامفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شيء من أمرى فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا حفوا به وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال ياغلام من طرحك ههنا فى هذا الجب قال اخوتي لا بي قال ولم قال حسدونى على منزلتى من أبى قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل ياصانع كل مصنوع وياجابر كل مكسور وياحاضر كل ملاو ياشاهد كل نجوي ويا قريبا غير بعيد ويامؤنس كل وحيد وياغالب غير مغلوب وياعلام الغيوب وياحيا لا يموت ويامحيي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يامن له الحمد يابديع السموات والارض يامالك الملك وياذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجا ومخرجا وترزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحي الله اليه وهو فى البئر لتنبئن اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن اربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعدما ألقى فى الجب فلما ألقوه فى الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم يابنى وأين

يوسف قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق أى ننتضل وكذلك هو فى قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لناولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجر أعلى الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبيح فعلك فتتلجلج فى الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبى قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء أخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد فى معناه

أغرك من شيخ بكاء وملقه ... أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فان بنى يعقوب جاءوا أباهم ... عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق أى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب. الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كدب. بدال غير معجمة اى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم اروني قميصه. فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يشق له جيبا ولا خرق له. شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما افاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فتحويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أبو أسامة حدثنى زكريا عن سماك عن الشعبى قال كان فى قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الوزير انه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين القى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما اصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين اضلاعه ولحمه ونجيء به الى يعقوب فقال لهم يهوذا يا اخوتاه اين العهد الذى بينى وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لاخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لاكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى ابيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فاخذوها ومضوا الى الصحراء

فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا
اعقاله خلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب
منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدى وقرة عينى وحبيب قلبى وثمرة فؤادى
لقد أورثتنى حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبى الله ما أكلت
لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا وانى لمظلوم مكذوب على وانى
لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لاجل قرابة
لى من الذئاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم أنفسكم أمرا
فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس
إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله
تعالى بامر يوسف قال فمكث يوسف فى الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء
الذى علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر
فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من
العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقى يوسف فيه فلما نزلت
السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك
قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قالوا والوارد الذى يتقدم الرفقة الى الماء
فيهيىء الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أى أرسلها فتعلق يوسف
بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك
يا بشراى هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك
ابن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من
بعض الناس الى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتى
يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده فى البئر فنظر
فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته بذلك فأتوا الى
مالك وقالوا له هذا عبد نا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه
منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من
الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم
معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية

أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ
أوقية أربعون درهما واختلف العلماء فى عدد الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود
وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد
اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من
الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب فى استرقاق يوسف
وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم
حفاة مشاة الى أربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فأوحى الله اليه انك لم
تنزل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بان يباع ولد من أولادك فى هذه المدينة
ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه
فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر
وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول
ياأمى ياراحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف
ومالقى بعدك من البلاء ياأماه لو رأيت ضعفى وذلى لرحمتينى ياأماه لو رأيتينى وقد نزعوا
قميصى وشدونى وفى الجب القونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالحجارة رجمونى ولم
يرحمونى وكما تباع العبيد باعونى وكما يحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع
يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وماصبرك الا بالله قال فافتقده مالك عن الناقة التى
كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة الا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه
فأقبل عليه رجل منهم فقال ياغلام قد اخبرنا مواليك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى
رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم أتمالك أن رميت
نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته
ويروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك مانزلت منزلا ولا ارتحلت الا
استبان لى بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى
غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر
أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن
رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ
بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ

ابن سام بن نوح عليه السلام ويروى أن هذا الملك مامات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس ابن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين ابيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيا ئيل قاله اسحق بن يسار وأخبرني ابن فتحويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا ابو حامد المسيلي أخبرنا ابو هاشم الرفاعي قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزي أخبرنا ابو العباس الدعولي بسرحين أخبرنا علي بن الحسين الهلالي اخبرنا ابو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) يعني أرض مصر قال أهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث) الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أي هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنني فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ومعنى الهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق
لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى
نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء ينتثر من جسدي قالت يا يوسف
ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الارض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال
التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد
شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها مما يري من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في
بعض البيوت وهمها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن
ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو اول شيء يبلى
اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد
أنحلت جسمي بصورتي وبوجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة
التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان أطفئتها فمنها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت
قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني قالت يا يوسف بساط
الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف
ادخل معي تحت الستر فاسترك به قال ليس شيء يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت
يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت اما سيدك
فأسقيه كاسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألقيه في الاستبرق وألقيه في
القيطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم
الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه في
مرضاة سيدك الذي في السماء فأبى يوسف قال ابن عباس فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب
باحدى يديه الي جنب يوسف وباليد الاخرى الي جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس
فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن
الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعني تمناها أن تكون له زوجة *
وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه أخبرنا
أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل
ابن أبي حصين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له
يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد

وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بني يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل مانقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الانبياء وقال السدي نودي يا يوسف لاتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذي يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني أخبرنا أحمد ابن محمد بن يزيد السكوني أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وفارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد ابن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي ابن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن ابيه عن علي ابن الحسين في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ماهذا قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحي أنا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى

يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ماجزاء من اراد باهلك سوءا يعني الزنا الا ان يسجن أو عذاب اليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فابيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ماجزاء من أراد باهلك سوءا غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما اخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يايوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن

يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتى عيرنها فذلك قوله تعالى أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ أعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام ومايتكئن عليه من النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد ابن جبير وقتادة يعنى هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين وقال وهب اعتدت لهن أترجا وبطيخا وموزا ورمانا ووردا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف أخرج عليهن وكانت قد أجلسته فى مجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدى ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغنى أن سبعا من الاربعين امرأة متن فى ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أى معاذ الله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذى لمتنى فيه أى في حبه وشغفى به ثم أنها أبدت لهن الميل الذى عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة فى المراودة وتوعدته بالسجن السجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن أى أمل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أى العزيز وأصحابه من بعد مارأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدى) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ولست أطيق أن اعتذر بعذر فاما أن تأذن لى أخرج فاعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف

دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وأن ساقية وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فاجاباهم الى ذلك ثم أن الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لاتأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لاتشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى اعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنتراءى له فسألاه من غيران يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود مارأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجر باعلمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألا عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لاتحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الادخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبي فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما قال فأبيا الاحبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما مايريانه من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم انى رأيت كأنى فى بستان فاذا أنا باصل كرمة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدى فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال احدهما اني أراني أعصر خمرا يعني عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أى عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبأنا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عقيل أخبرنا عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل فى السجن قام عليه فاذا ضاق

عليه وسع له وان احتاج جمع له وسال ربه وقال قتادة بلغنا أن احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان في هذا لاجرا وثوابا فقالوا يافتى بارك الله فيك مااحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لانحب ان نكون في غير هذا المكان منذ رايناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن انت يافتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتى لواستطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك واحسن ايثارك فكن في اي بيت شئت قال فكره يوسف ان يعبر لهما ماسالاه لما علم في ذلك من المكره على احدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما واخذ في غيره قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى اهل السجن وكان بين أيديهم اصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما الحا عليه فقال ياصاحبي السجن اما احدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها واما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج واما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة ايام يبقي في السجن ثم يخرج فيصلب فتا كل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا مارأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ الامر الذي عنه تسالان (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان اخبرنا محمد بن عبد الله الصفار اخبرنا احمد بن مهران عن ابي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة واحسبه قال لاتقصها الا على ذي راي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام ،

عند ذلك للذى علم انه ناج منهما وهو الساقى اذكرنى عند ربك يعنى الملك وقل له فى السجن غلام محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه الاية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى يوسف لولا كلمته مالبث فى السجن يعنى قوله أذكرني عند ربك ثم بكى وقال الحسن نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت ماقلت فويل لاخوتى ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالى أراك بين الخطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى اذ استشفعت بالآدميين فوعزتى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا اخي يا جبريل وهو فى ذلك راض عنى قال نعم قال اذا لا ابالى وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك فى البئر والبسك وانت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقى وقال له اذكرنى عند ربك بقى فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته راي ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبعا أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ افتونى فى رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أى تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن

بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما أى من الفتيين وهو الساقى واد كر بعد أمة أى
وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون
أى الى السجن قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة فبعثوه فاتى ليوسف
فقال له أيها الصديق يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا فى سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أي فضلك وعلمك فقال له يوسف
تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقى الى الملك واخبره بما افتاه به
يوسف من تاويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذى قال كائن فقال الملك ائتونى بالذى
عبر رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى يوسف ابى ان يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته
ويعرف صحة امره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك اي سيدك الملك فاسأله
مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ابن عباس لوخرج يوسف
يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين
سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ماأخبرتهم حتى اشترط ان يخرجونى ولو
كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم ابتغ العذر والله
انه كان لحليما ذا اناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة
اللاتى قطعن ايديهن وامرأة العزيز فقال لهن ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدي
كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرىء
نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال
ائتونى به استخلصه لنفسى فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج
يوسف ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب
الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم فى كل بلدة فلما خرج
يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة
الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبث ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك
قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى حسبي ربى من خلقه عز جاره

وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك بخيرك من خيره واعوذ بك
من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ماهذا اللسان
قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ماهذا اللسان قال لسان ابي
يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه بذلك
اللسان فاعجب الملك ما راى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما راى الملك حداثة سنه
وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تاويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه اجلسه
وقال له انى احب ان اسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات
سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب
اخلافهن لبنا فبينما انت كذلك تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه
وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس
لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن جلودهن
وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف غلبتهن وهن مهازيل ثم
لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع آخر سود يابسات فى
منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما انت تقول فى نفسك ماهذا هؤلاء خضر مثمرات
وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن فى الماء اذ هبت ريح فردت اوراق السود
اليابسات على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا
آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان
كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق
انى أرى ايها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام
والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب
وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن
حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز
مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى الشغل فيه
فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أى كاتب حاسب وقيل حفيظ لما
استودعتنى عليم بسنى المجاعة وبلغة من يأتينى فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك

كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين النقفي بن مخلد بن علويه أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقر أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروي سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال قال الملك ليوسف اني أريد أن تخالطني في كل شيء غير أني آنف أن تأكل معي فقال له يوسف اني أحق أن آنف بذلك منك لاني أنا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون مرفقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحتري في هذا المعنى

أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الأمن ... وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأساً فالله ملّكَ يوسفا ... خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف فى ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فاصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شيء أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والحلل والجواهر حتى لم يبق فى أيدى الناس منها شيء وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا مماليك له وباعهم فى السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فى هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فانى اشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم وروى أن يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال انى أخاف ان شبعت أن أنسى الجائع (وروى) أن يوسف أمر طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة فى اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه فجاء بنوا يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين أن قذفوه فى الجب وبين أن

دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل أنه كان متزييا بزى فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه وقال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما أمركم فانى أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادى فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبى من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم انتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان احب الى ابينا منا قال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عندا بينا لأنه اخو الذى هلك من امه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتونى بأخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فانى ارضى بذلك قالوا ان أبانا يحزنه على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتونى باخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان ابرهم بيوسف فخلفوه عنده فلذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه اى لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اى ثمن طعامهم قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والادم وقال قتادة كانت ورقا فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء فى السبب الذى فعل ذلك يوسف بهم من اجله فقال الكلبى تخوف يوسف ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة اخرى وقيل خشى أنه يشق اخذ ذلك منهم على ابيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم انه قال لهم اين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له

أنه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا
يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب
هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله
خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لأردن عليك كلاهما بعدما توكلت
علي قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم
قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن
يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى
لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا الي
بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم
قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم
لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين
لأنهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم
أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شيء إن
الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم
وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شيء صدق
الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على
يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به
قال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون على ذلك عندي ثم أنه انزلهم وأكرمهم وأضافهم
وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان
أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم
أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك
وقال لهم ليبيت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام
معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول
ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم اني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان
تشاؤا أضمه الى ليكون منزله معي ثم أن يوسف انزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب

وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين
قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك أنه لما ولد فقد امه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت
ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما اسماؤهم قال لقد
اشتققت اسماؤهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك
الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم
وعيثم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي
وأبي وأما اشكل فانه كان أخي لابي وأمي ومني وأما حيا فلكونه كان حييا واما خير فانه كان
خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن
واما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيثم فأعلمني أبي أنه حي واما عيثم فلو
رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف اتحب أن أكون أخاك بدل اخيك ذلك
الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال
فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه
(قال كعب) لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا افارقك قال يوسف اني قد علمت
باغتمام الوالدفان حبستك زاد غمه ولا يمكني حبسك الا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال
لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني ادس صاعي هذا في رحلك ثم انادي عليكم بالسرقة
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر
جعلها يوسف مكيالا يكال بها ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر
بهم فأدركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب
منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم مالم
نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد
علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا
بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل اضررنا أحدا أو أفسدنا شيئا وانا قد رددنا الدراهم لما
وجدناها في رحالنا فلو كنا سارقين ماردذناها وفي الحديث انهم لما دخلوا مصر كمموا
افواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيئا فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي

يتكهن فيه وانه ائتمنني عليه فان لم اجده تخوفت ان تسقط منزلتي عنده وافتضح في مصر
فمن رده على فله حمل بعير من طعام وانا به زعيم اي كفيل قالوا معاذ الله ان نسرق فقال المؤذن
وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش أمتعتكم ولستم
ببارحين حتى افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم
استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة)
ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم
يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيئا فقالت اخوته والله ما نتركك حتى تنظر
في رحله فانه أطيب لنفسك ولا نفسنا فلما فتحوا متاعه اخرجوا الصاع منه فلما أخرج
الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش
الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا
الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي الى البرية
فأهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا
ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه *
واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي
وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده أبي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال
ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة ان يسرق صنما لخاله من ذهب فأخذه وكسره وقال
مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة
فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره
كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت اكبر ولد اسحق وكانت
منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته
عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه في قلب
يعقوب فأتاها وقال لها يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له
ما انا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه
ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها
تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما

فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله أنه ليسلم لى أصنع فيه ماشئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فاتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذى قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعى هذا ليخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى حى هو فنقره ثم قال له حى وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بى ماشئت فانه ان علم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك انى أريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله فى رحلى فنقره ثم انه قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى الذى سرقنى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك اخانا لاصيحن صيحة لا يبقى فى مصر امرأة حامل الا القت مافى بطنها وقامت كل شعرة فى جسده فخرجت من ثيابه وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان فى هذا البيت لشيئا من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا صادق فلما اراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه ان يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا كلفا بحبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدى كبيرهم فى السن وهو روبيل ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله فى هذا الغلام لتردونه ومن قبل مافرطتم فى يوسف أى من قبل هذا قصرتم

في شأن يوسف فلن ابرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي ابي فارجع الى الملك فاناجزه القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أي نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب حافظين حين سألناك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعني واسئل اهل القرية عن قولنا التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لاجزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف و بنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال ياأسفا على يوسف وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال ياأسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد ﷺ الا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال ياأسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكا قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكوا بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انهشمت و فنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله أخبرني الحسين بن فنجويه أخبرنا أحمد بن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب ما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين

لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فآخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدى لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف وروى انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق وروى انه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا يدخل على أحد وأشكوا بثى وحزنى الى الله فقال له يانبى الله أنا الذى أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال له ياملك الموت أنشدك الله الا أخبرتنى هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح أتقبضها مجموعة أومتفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال فجئتنى زائرا ام داعيا فقال يانبى الله ماجئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لابشرك وأجيبك عما تسألنى عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمنى ياعزرائيل فقال يااسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم ياملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا فى شهر كذا فمر تميم العابد العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشواء فلم تطعمه شيأ فعند ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يابنى اذهبوا

فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام ماساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة رديئة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها* واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ماهي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائى سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان أن الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء فى السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم فقال هل علمتم مافعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكي لاخوته أن مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكى و يحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم و بكي وقال لهم ذلك القول* وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك أن يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدى فابتلى بالنمروذ فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين

على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الأكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لأذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال لأذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك أن قال لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لأنت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم مافعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لأنت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس أنه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بأن جمعنا بعد مافرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم أنهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدى وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال مافعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وائتونى بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب انى لأجد ريح

يوسف لولا أن تفندون أي تسفهون (ويروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير وقال السدي قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته ان يوسف أكله الذئب فأعطني اليوم قميصك لاخبره انك حي فافرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن يأتي يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت اسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا أنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي الآية (قال) أكثر المفسرين آخر ذلك الى السحر من الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك أن الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الي الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان البصري أخبرنا اسحق ابن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد

البغدادى أخبرنا اسحق بن زيادوابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى (وروى) أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له أنه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يابنى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتى راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا فى قوله تعالى قالوا نعبد الهك وآله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة * وقال الفضيل ابن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف

يوما من الايام فى خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بنى لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقى وكثر حنينى آخذ ورقه حتى أكتب اليك ياأبت فيمنعنى جبريل أن أكتب اليك فاتركها فى هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعنى ربى فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيرى (وروى) صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا ياأبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء ارحم البرية فقال ما بكم يا بنى فقالوا ألست تعلم ماكان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغنى عنا شيئا اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يابنى قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحى من عند الله سله هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جميعا قرت أعيننا واطمانت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين فى الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما اذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح المرى ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثنى اليك ابشرك بانه قد أجاب دعوتك فى ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده اربعة وعشرين سنة باغبط حال واهنا عيش واتم راحة وادوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف ان يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند ابيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج

منعه يوسف في عسكره واخوته وعظماء اهل مصر ووافق ذلك يوم وفات عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعاوار بعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد قال فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه واتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك يدوم له وانه لابد من فراقه فأراد نعيم الجنة اذ هو افضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث الآية. (وروي) أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول امر الله تعالى به فقالوا يانبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا والى مايؤل اليه امرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعي الربوبيه فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى ابن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من ايدي القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى إذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء الملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فمازالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجموا له واكتأبوا وأيقنوا بوهي أركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجمين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد اوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجعون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن

حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروي) يونس ابن عمران عن أبي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فأكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فأحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنز تحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ماهذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت ان أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه ان اعطها حكمها ففعل (ويروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى الا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطيني اربع خصال تطلق رجلي وتعيد الى بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسي فاوحي الله تعالى اليه أن اعطها ماسألت فانك انما تعطي علي ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطىء النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال أهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(مجلس في قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام)

وهو موسى الأول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى ابن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسي بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب

ابن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك انى برىء ممن سحر أوسحر له أوتسكهن أوتسكهن له أوتطير أوتطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومثيبا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيري فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثر واذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا افلبث فيهم ماشاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات ﷺ وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد)

قال الله تعالى ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (وروى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له قد ضات أى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم يرى فيها أحدا الا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم يرفى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم يرهناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجرى في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلنى الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها شيئا ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ماأراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم أنه صار يقفو أثر ناقته

حتى رجع الي اليمن فاظهر ما كان معه وأعلم الناس بامره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر
وتغير لونه من طول الزمان الذى مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاويه بن أبي سفيان فارسل
رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم
سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به
وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذى هو مفروش فى
قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فقال له ارني اياه فعرض
عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ و بنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فامر
بندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا و زعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف
أصنع حتي أعرف اسم هذه المدينة ولمن هى ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى
سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه
ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا
الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث اليه و يأمر باشخاصه و يغيب عنه
هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتي يتبين أمر هذه
المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان
دخلها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن
يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما
حضر قال له يا أبا اسحق انى دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين
على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة
مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد و ياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ
وأنهارها فى الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت
انى سأسأل قبل ان يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين
ولمن هى ومن بناها أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما
الذى بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال
له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين إن عادا كان له
ابنان سمي أحدهما شديدا والآخر شدادا فهلك عاد و بقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل
البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل في

طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقي شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار وانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها فى الدنيا واتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما فى أيدى الناس من ذلك تخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلقت تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا باخذ ما يوجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتي جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أرادوا وصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الي مواضع الازقة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليمانى وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والمحلب فلما

فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فاقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق اني لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين اني لاجد فى التوراة انهم اقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية لم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا ابا اسحق لقد اخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا امير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من اجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التي لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما اتوه واخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم اتوه فأخبروه بالفراغ مما امرهم به قال فأمر الف وزير من خاصته ان يهيئوا اسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وامر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وامر لهم بالعطاء والارزاق وامر الملك من اراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فأقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن اراد الى ارض ابين وخلف من قومه اكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق احد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر احد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا ابا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذاك الرجل يا امير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد

أعطيت من علم الاولين والآخرين مالم يعطه احد فقال يا امير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ماخلق الله فى الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن اشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبي) اخبرنا دغفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت اسمع في صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم احفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما انا فى نادى قومى اذ انشدوا حديث تلك المغارة واطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى إنى غير منته عن هذه المغارة حتى ادخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن انا اصاحبك فقلت يا ابن اخى اتجسر على ذلك قال عندى ماعند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا ادوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه اهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا واشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو ينافى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبي هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض اربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مالها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة فى اللوح حفرا فاطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة

رطل فجعلناها فى أزرنا وأرديتنا وأردنا قلع شىء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن فى ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذى كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لانستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه فى هذا الثقب فانى أرجو أن نخرج منه الى القضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمرى ان هذا الهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتمون ببقية الماء والطعام الذى كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل فى البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطي ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك الدرب مما يلى الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى خرجنا منه فخفى علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندى حولا لا أجد أحدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميرى كان يحسن قراءة تلك الكتابة فاخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بى أيها المغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأساء والملك الحشيد ... دان أهل الارض طرا لى من خوف وعيد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعدة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا فى ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلنا كان بالامر الرشيد
فعصيناه وناديناه ألا هل من محيد ... فاتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت أنه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات

العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مزيد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذى من الذهب والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمودا وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم فى بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعدا فى السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهى كاعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت فى ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فاصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا فى أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغنى أنه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى تدعونه وتعبدونه الى وأطاعنى أتجيبوننى الى مادعوتكم اليه قالوا بلى فاعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولى اليه وقال له ائتنى طوعا أوكرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولى ائتنى راكبا عليهن لئلا يكون القوم فى أمرهم على شك

فاتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه و يجرهن فلما رأوا ذلك
سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فالقتهم فى البحر ومواشيهم جميعا
وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فاتى الولى الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة
والاوانى فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما
الآخر) فإنهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم
فيهم نبى الا قتلوه وذلك النهر ينقطع أذربيجان بينها و بين أرمينية فاذا قطعته مدبرا
دخلت فى حد أرمينية واذا قطعته مقبلا دخلت فى حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل
ارمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون
الجوارى العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض
نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التى حوله وكان
لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى
اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده بنصره و بعث
معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان فى أوان وقوع
الحب فى الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فخفر نهرهم فى البحر وانصب
ما فى أسفله واتى الى عيونه من فوق فسدها و بعث الله اليه خمسمائة من الملائكة اعوانا له
ففرقوا ما بقى فى وسط نهرهم ثم امر الله جبريل فنزل فلم يدع فى ارضهم عينا ولا نهرا الا ايبسه
باذن الله تعالى وامر ملك الموت فانطلق الى المواشى فاماتها دفعة واحدة وامر الرياح الاربع
الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع والقى الله تعالى عليهم السبات
ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته فى رؤس الجبال و بطون الاودية واما ما كان
من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى امر الارض فابتلعته فاصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا
مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم
وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا احدى وعشرين رجلا واربع
نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء والذرارى ستمائة الف ماتوا عطشا وجوعا
ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار اعلاها اسفلها فدعا
القوم عند ذلك مخلصين لله ان يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا
فاجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله

رسولا الى من يليهم و يقاربهم الا اعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فاطلق لهم نهرهم وزادهم على ماسألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله فى الظاهر ونافقوه فى الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم ومافيها مائتى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعوا ابنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه أو صديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت النساء شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهان بنت ابليس وهى أخت الشيطان وكانا فى بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالي على هؤلاء القوم صاعقة فى اول ليلهم وخسفا فى آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) على بن الحسين زين العابدين عن ابيه عن جده عن على بن ابى طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بنى تميم يقال له عمر أتاه فقال يا امير المؤمنين أخبرنى عن اصحاب الرس وفى اى عصر كانوا واين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا ام لا وبماذا اهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا اجد خبرهم فقال له امير المؤمنين على رضى الله عنه لقد سألتنى عن حديث ماسألنى عنه احد قبلك ولا يحدثك به احد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا اصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا اعذب منه ولا قرى اكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم وكان يسمي تركوذ بن عابور بن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها

وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لاهم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد ان ينقص من حياتها ويشربون هم وانعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه اهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها اصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك اغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمور ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من الديباج وعليه انواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ماقربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور مالا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنى عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول مادعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك ابوا تصديقي ودعوتي اليهم وماارادوا الا تكذيبي والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فايبس شجرهم اجمع وارهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا اسحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رات هذا الرجل يعيبها ويقع

فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا امرهم على قتله فاتخذوا امثال بيت واتخذوا انابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا أن ترضى عنا آلهتنا اذا رأت أنا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وأنا دفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم ويسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى تري ضيق مكانى وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم فى عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم أن الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم حجرا كالقبة يلتهب فاذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله ايوب وبلائه عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه الايه وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (قال) وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان ايوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا باعلى جبهته المبتلى الصابر وهو ايوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من ارض الشأم كلها سهلها وجبلها وماكان فيها وكان له من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل افضل منه فى العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة

.وولدومال ويحمل آلة كل فدان اتان ولكل اتان ولد من الاثنين الي فوق الخمسة
وكان الله اعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرءاتقيا رحيما بالمساكين يكفل
الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا
لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما اصاب من اهل الغنى من الغرة
والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة
قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان
من اهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان
لجبريل عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة
والفضيلة وأن جبريل هو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل
ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع
ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه
ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شيء
من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة
فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان
يعقد في ثلاث فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده
محجوبون عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين
قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله وأثنى
عليه فادركه البغى والحسد وصعد سريعا حتي صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال
يا الهى نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم
لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وانا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله
تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع
عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على
مال ايوب وزوال المال هى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال
عفريت من الشياطين اعطيت من القوة مالو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شيء
آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت
رؤسها وثبتت في مراعيها فا تشعر الناس حتي ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ

فيه رياح السموم لا يدنو منها احد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى اتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم ايوب حتي وجده قائما يصلى فقال له يا ايوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذي اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء اخذها وقد تحققت وطيبت النفس انى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها و بقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطاني وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك و بما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فأخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة مالو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم أن ابليس خرج متمثلا بقهرمان الزراعة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله أولا ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الأولى ثم أن ابليس رجع الى أصحابه فقال ما عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ماذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شىء تأتى عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى في الحرث وأولادهم وتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم أن ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتي جاء الى ايوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فاجابه ايوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالأول حتى أتى على آخره قال وأيوب كلما أنتهى اليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى

مابقى له مل فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيئا ولا نجح فى شىء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان ايوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مساطي على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عايها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى نبي الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجذره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم أن ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس و الوجه يسيل دمه من دماغه فأخبره بذلك وقال له ياأيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر و كيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هـذا ويردد حتى رق ايوب عليـه و بكى وقبض قبضـة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع ايوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبادروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال ياالهى انما هون على أيوب خطر المال والولد أنه يرى أنك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عـبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحكها باظفاره حتي سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة

الخشنة فلم يزل يحكها حتي نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجته أهل القرية فجعلوه
علي كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم
ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما
رأي أصحابه له ثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال
به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب
الذي عوقبت به (قال) وكان حضرمعهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه
فقال أنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم
من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى
أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها
الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن
أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم أنكم لم تعلموا
ولا أطلعكم الله تعالي علي أنه سخط شيئا من أمره منذ آتاه ما آتاه الي يومكم هذا ولا علمتم
أنه نزع منه شيئا من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا أن أيوب غير الحق فى طول ما صحبتموه
الي يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم أن الله
تعالي يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم أن بلاءهم ليس دليلا علي سخطه
عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة
الا أنكم آخيتموه علي وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء
ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه
ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله علي رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله
الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم
ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لهم
الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت
ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا
واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع
الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس
أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال

فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالي يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبتت فى القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان ايوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله يخلصنى وقربوا عنى قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم فهنيئالكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التى ألبسكم اياها وقد كنتم فيما خلا الرجال توقرونى وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فانتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم أنه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شيء خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى ماخلقتنى ياليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى أوليتنى قد عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى وألحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل لى ياإلهى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما إلهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصبا لقد وقع على بلاء لو سلطته على جمل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى إلهى تقطعت أصابعى فانى لأرفع الاكلة من الطعام الا بيدى جميعا فما يبلغان فيّ الا على الجهد منى إلهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما بين أذنى من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فمى إلهى تساقط شعر عينى كأنما أحرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم لسانى حتى ملأ فمى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أمعائى فى بطنى وانى لا أدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى وذهبت قوة رجلى فكانهما قد يبستا ولا اطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفى ويطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها على ويعيرنى إلهي هلك أولادى ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفعنى قد ملنى أهلى وعقنى أرحامي وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى وجحدت حقوقى ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخوني واعتذر فلا يعذرونى

دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذى اذلني وأدناني وأهانني وأقامني وان سلطانك هو الذى أسقمني وانحل جسمي ولو أذن بي نزع الهيبة التي في صدري فاطاق لساني لا تكلم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا نظر الى فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الاجبار مثلي ولا ينبغي ان يخاصمني الامن يجعل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللحم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أردت ان تكاثرني بضعفك أم أردت أن تخاصمني بغيك أم أردت ان تحاجني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت باي مقدار قدرتها أم كنت معي تمر باطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها ام هل بامرك يختلف ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار وانبعت الانهار اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين انت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت تدري كم مثقال ما فيها اين الماء الذى انزلته من السماء هل تدري كم بلدة اهلكتها وكم من قطرة احصيتها وقسمت الارزاق ام قدرتك تسير السحاب وتنثر الماء هل تدري ما اصوات الرعد ام من اى شيء لهب البرق وهل رايت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ام هل تدري اين خزانة النهار بالليل واين طريق النور وباى لغة تتكلم الاشجار واين خزانة الريح واين جبال البرد ام هل تدري من جعل العقول في اجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين بجبروته وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرف الطير معاشها

وعطفها على افراخها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا في أماكن الفلا أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه في منقطع التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران أنيابهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كأنها عمد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي غلبتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصد هما عن قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور وكأن ضرب اسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحشى وقع الصخور على جسده و يطير في الهواء كانه عصفور فيهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذه باحبولتك و واضع اللجام في شدقه هل تحصى عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا يخرب فيما بقى من عمره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تامره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد على ليت الارض انشقت لى فذهبت ولم اتكلم بشيء يسخط ربى حين اجتمع على البلاء إلهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفنى وتعرف نصحى وقد علمت ان كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذى يظن ان يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائى هذا ما لم أكن أعلم وخفت ان يكون أمر اكثر مما كنت أخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت على لسانى فلن اعود وقد وضعت يدى على فمى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودسست فيه وجهى لصغارى وسكت حين اسكتتنى خطيئتى فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه عنى فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمى

وسبقت رحمتي غضبي اذ أخطات فقد غفرت لك ماقلت و رحمتك و رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قدعصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله تعالى عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فاقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت ياعبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أناهو فعرفته لمامضحك فاعتنقته قال ابن عباس والذى نفسي بيده مافارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر الآية واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام أبو الحسين محمد بن على بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ماأذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وماأدراك قال منذ ثماني عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ماأدرى ماتقولان غير أن الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فارجع الى بيتي فاكفر عنهما كراهة أن يذكر الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ماشأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال اني أناهو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتي فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروي) ان الله تعالي أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فناداه أيوب ألم أغنك عما تري قال بلى يارب

ولكن لا غنى لي عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقرب به غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وايوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعياني هذا العبد سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقرب به الا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب فاشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقرب به غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتي امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لي وسيبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت فى هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تأتينني به على حرام لا أذوق مما تأتينني به شيأ بعد أن قلت هذا فاغربي عنى لا أراك فطردها فذهبت فلما رأي أيوب امرأته وقد

طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استحيب لك اركض برجلك الاية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من أكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فارسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى اضاع ام ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى علي ثم انها جعلت تنظر اليه وهى تهابه وقالت اما انه كان اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانه ايوب امرتيني ان اذبح لابليس فانى اطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين وقال كعب كان ايوب فى بلائه سبع سنين وقال وهب لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها انت صاحبة ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد إله السماء وتركني وأغضبني ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم أراها اياهم فى بطن الوادى الذى لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفى مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت فى بعض الكتب أن ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب أقسم اذ عافاه الله ليضربنها

مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي
الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد
أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب حفافا لطافا فيضربها
ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآيه وقد كانت امرأة
أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم
يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها
فباعته برغيف وأتته به فقال لها اين قرنك فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال
ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك
حين وقعت الدودة من فخذه فأخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله
طعامك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان
لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما
لصاحبه لو كان الله علم فى أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال سمع أيوب شيأ كان أشد
عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني
الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائعا فصدقنى
فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم اتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريانا
فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء
يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال شماتة الاعداء
وأنشد بعضهم فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضى أيامها وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) فى هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى
فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) فى كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى
الله ايوب فى الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله
ايوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل
ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس
وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر)

ان عمر أيوب ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشأم طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

(مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد فى آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة فى المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله ان يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتموني عظيما وكلفتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا فقال الهي امرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتني ان اجاهد اعداءك وانت تعلم انى لا املك الا نفسي وان قومي قد سألوني فى ذلك ما انت اعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري فانا اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فاوحي الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد اعطيتهم ماسألوني طولت اعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله واخبرهم بما اوحي الله اليه وتكفل لهم بذلك كما امر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا ان يدعو الله ان يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختياري لهم خير من

اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى اعمارهم فاتوا باآجالهم قال فذلك كثرت الروم حتى
يقال ان الدنيا دارهم خمسة اسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما
بالشأم حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة
هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن
ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان
شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أى ضريرا
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين
وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين اهل
مدين واصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف فى
المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم
فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية
ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم
كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به انه كذاب فلا يفتنك عن
دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا
عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة
أسرى بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شئ الا خرقته فقلت ماهذا
ياجبريل فقال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ماذكره الله تعالى فى
سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه
شعيب وعذبوا الاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب اصلاتك
تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد اى السفيه الغاوى وهو على
الضد كما يقال للحبشى أبو البيضاء و كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال
ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا

عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فيهم فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن الـكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغنى أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا ... عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت ... تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها ضحاء غد ... الا الرقيم يمشى بين أنجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال ابو عبد الله البجلى أبو جاد وحطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن أهد ركنى * هلكه وسط المحله * سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحلة

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

(مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على ابواب)

(الباب الأول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم أن لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له

من عمره ست وار بعون سنة نكح فاهى بنت مبين بن تنو يل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقدمضي له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وار بعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم امهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخاييل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقدمضي من عمره سبعون سنة والله اعلم (الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس ابن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد ابن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وافجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنوا إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليه وقدذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبنى إسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسا التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال أنه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ماذكره السدى عن رجاله أن فرعون رأى فى

منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها وأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسالهم عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يسلبك الملك و يغلبك على سلطانك و يخرجك وقومك من أرضك و يبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني أنه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح أقدامهن حتى أن المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته و يقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعف مافي بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته وكان أحب الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة و يخفضه مرة أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى مستقى جواري فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن و يستقين فوجدن التابوت فاخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتي أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام

فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديداً فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل فانا آتي فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد ان يذبحه وقال اني أخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وأن يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسيه تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن ابن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال ابو الياس قال وهب بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس أن أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتيني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ماوجدت حب شيء مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته ياأماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع به خوفا على موسى فلفت موسى في خرقة وألقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله عبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ماأدخل عليك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى

أين الصبي قالت لا ادري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار برداوسلاما فاحتملته قال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لمارأت الحاح فرعون في طلب الولد ان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذله تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من اهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت له اخبا فيه ابنالي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء مايقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى بلسانه و بصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فوقع في واديهوى فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه و بصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته في البحر وذلك بعدما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نري برأها الا من قبل البحر شيء يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه و يلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبيناهن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدر وادنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى

فى قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا ارم به فى البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أى ابتغي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا حى هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بها لبن لتختار له ظئرا اتربى موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فاخرج الى السوق لتجتمع عليه الناس ترجوا أن يصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظئورة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها ومايدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ماأعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جبينه فانطلق البشير الى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فأتى بها فلما رأت مايصنع بها قالت لها امكثي عندى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع أن أدع بيتى وولدي فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتى وولدى فيكون معى ولا أولى له الا خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابنى فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية

لام موسى أحب أن تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بامينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى ان دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخـذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية. ويقال انه لطم وجهه (وفي بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدي فرعون و بيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب. فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على أنه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا تري الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) أنه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك أن أحببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال أزدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس

ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بنى اسرائيل كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره وادركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الاية والذى من شيعته يقال له السامرى والذى من عدوه رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامرى ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسى استغاثه السامرى على القبطى فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسى انما آخذه فى عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامري من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (قال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت أقرت لى طرفة عين انى اله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لى ساعة واحدة انى اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطي لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذى رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال للاسرائيلى انك لغوى مبين ففر الاسرائيلى من موسى وظن انه يبطش به من أجل انه أغلظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس الاية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى

فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد فى معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (ويروي) عن النبي ﷺ انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فأخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعي قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل لترى من بطنه (الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين فى ثمان ليال نزل فى أصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالي ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم ومايبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى امرأة موسى الذى استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم احدي الجاريتين ليا ويقال حنونه والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك ابن ابى عثمان الواعظ ان تلك البئر غير البئر التى تسقى

منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوالهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وماسأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما اعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهى التى تزوجها موسى وهى تمشى على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشى خلفى ودلينى على الطريق فاذا أخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى أنهج نهجا فانا بنى يعقوب لا ننظر الى أعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهى التى كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (قال) النبي ﷺ أصدق النساء فراسة امرأتان كانتاهما تفرستا فى موسى فاصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وانما قالت القوى الامين لانه أزال الحجر العظيم الذى لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبك أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه فى الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج الى قوله من الصالحين أى فى حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله ﷺ أنه سئل أى الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأقضاهما (وروى) أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس فى ذكر نعت عصا موسى و بدو أمرها)

اختلف العلماء فى اسمها والمنافع التى كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم انه شعيبا أمر ابنته ان تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها فى رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه

بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها الا انها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت ان تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد علي العصا فابى أن يردها عليه فتنازعا الي أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشى فتحاكما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهى له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسي بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ماشاء الله ثم استأذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصى تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب ان صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل له خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدى فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذى دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبدالله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ماوضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبدالله أما الشيء الذى وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ماوضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار واما اول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التى اقتطع منها موسي عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الي معاوية يسأله عن اربعة اشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمي بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب اما الاربعة التى

لم يركضوا فى رحم فآدم وحواء والكبش الذى فدى به اسمعيل وعصى موسى حيث القاها فصارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصى موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة اذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء فى اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل ابن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع فى صفة المآرب التى كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن فى اسفل الشعبتين وسنان حديد فى اسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضىء شعبتاها كالشعلتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا اعوزه الماء دلاها فى البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير فى راسها شبه الدلو فيستقى بها واذا احتاج الى الطعام فضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها فى الارض فتخرج اغصان تلك الشجرة التى اشتهى موسى فاكهتها واثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها فى الارض فاورقت واثمرت واطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا اراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا اعيا فى طريقه ركبها فتحمله الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل اعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان فى طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلا بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده

ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستقلت الى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده وأما اذا القاها فيرى أنها كانت تقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فما وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئا الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى أن الصخور فى جوفها لتقعقع وتمر بالشجرة فتقصمها بأنيابها وتحطمها و تبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كانها تطلب شيئا تاكله وكانت تكون في عظم الثعبان وفى خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى فى موضع فاذا هى ثعبان مبين وفى موضع آخر كانها جان وفى موضع آخر فاذا هى حية تسعى

(الباب الثامن فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الأجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك ميرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحى الله الي موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطات واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهرها لا تدرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا على المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى

في عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذلم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند وأخذ يتامل ماقرب ومابعد تحيرا وضجرا ثم اخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطىء الوادي الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما اقرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن بجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تاويل فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا لدهشته وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فما ومحجنها عرفا لها في ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى

موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى امر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يصل الى فرعون لكى لا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الملك فقال هى عصاي فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودي أن أحسر يدك فحسر كمه عن يده ثم أدخل يده تحت لحييها فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن لملبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلونى وأخي هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبونى فقال له ياموسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك أن يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندى ووسعه حلمى وأنا الغنى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لا غنى الا من اغنيته ولا فقير الا من أفقرته فابلغه رسالتى وادعه الى عبادتي وتوحيدي والاخلاص لى وحذره نقمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه انه لا يقوم لغضبى شىء وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ويجله فى خطابك اياه ولا يروعك ماألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شىء الا بعلمي وأخبره بانى من العفو والمغفرة أسرع منى الى

الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفى كل ذلك تمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة ايام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك ياموسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى فجاهد بنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخي وحيدان فريدان فقال الله تعالى لهما انكما جندان عظيمان من جندى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصر كما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت ان آتية بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا وبهجتنا ما يبهت فرعون وملأه اذ نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى فى أوليائى وأصفيائي أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم انه لا يتزين أحد من عبادى بزينة هى أبلغ من الزهد في الدنيا وهى زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق وقيل لموسى عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكا فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فاخذ حجرين فحك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم

وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حين بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه ببني
اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره
ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح
ولا حمولة ولا صاحب له ولا شيء من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف
ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد ويقول الارض حتى ورد مصر فلما
قرب من مصر أوحي الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون
يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر
يوم السبت غرة ذي الحجة متنكرا الى شاطىء النيل ليلتقي بموسى تلك الساعة قال فخرج
هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطىء النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود
الاسد الماء وكانت لفرعون اسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد
الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين
بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة في ربض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن
وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد
فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك
الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها
فمن أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه
يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم ورودها فلما رأتهما
الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبهما الرعب
فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست في الغيضة
وكان لها ساسة يسوسونها وادادة يدودونها أي يغرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها
ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا في
تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذي هو أقرب ابوابها الى منزل فرعون
وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فاقاما عليه سبعة
أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا
الباب والارض كلها وما فيها رب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله
قط ولم يظن ان احدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الي كبرائه الذين

فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندي أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ماقدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدي باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهي لا تعرفه فأتاها في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل في جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى ياهرون انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى اني أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هذا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو واخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسولا رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون

قال الله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما وهو عندي لا يتذكر ولا يخشى قال لكي لا يقول أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على

المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال انا رسول رب العالمين فتامله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن بعينه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ماذكره من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تنتزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي انما صيرنى اليك ذلك قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تسمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى ماهذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت إلها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقى وكذبك وحقى وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبى القصر واضعة لحييها الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثقل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح ياموسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذتها وأمسكتها عنى وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فادخلها موسى فى جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع فى السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوءها

البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت إله تعبد اذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك فى ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ فى منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الأولى (وفى بعض الروايات) أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر فى الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب فى أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما فى دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

(الباب العاشر فى قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة
وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة)

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملا حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى فى اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال لهم ماذا صنعت فقال له

معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبير الا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط فى مملكته فلم يتركوا فى مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا فى عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بنى اسرائيل (وقال الكلبى) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذى يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال كعب) كانوا اثنى عشر ألفا (وقال السدى) كانوا بضعة وثلاثين ألفا (وقال عكرمة) سبعين ألفا (وقال محمد بن المنكدر) ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى أن فرعون جمع السحرة وهم (سبعون ألفا) فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة باقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهم رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذ ألقياها لا يقوم لها شىء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظراهما اذا هما ناما فاذا قدرتما أن تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما أتياهما فى خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز كان يوم عيد لهم تجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم أن السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا أن كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم إذا لمن المقربين يعنى فى المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتيا المجمع وفرعون فى مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين

جاءهم ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصا والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فألقوا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى إلى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحي الله اليه لاتخف انك أنت الاعلى وألق مافي يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كاعظم مايكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينه برأسه وعنقه وكاهله لايضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كامثال الرماح وصارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصريف وصرير فاستعرضت ماألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون أنها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير في الوادي لا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطيء بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهباعقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى أن هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ماعاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ماغلبنا ولاخفي علينا أمره ولو

كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وغادر وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا ءآمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقي قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين إلى أن أهلكهم ثم أن موسى عاد راجعا إلى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلاب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملئوا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بنى اسرائيل فأخذ برأسها فاذاهى عصا كما كانت أول مرة وشتت الله على فرعون أمره ولم يجد إلى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صاروا ظافرين

(الباب الثانى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضى الله عنهما) قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذي صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله ﷺ سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من أماء الله الصالحات إلا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بي مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بل ربى ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دعا بها وبولدها فقال لها من ربك فقالت ان ربى وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحمى وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لى اليك حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا فى التنور حتى إذ كان آخر أولادها ولدا صبيا رضيعا فقال اصبرى ياأماه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد أربعة عيسى ابن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبى

(الباب الثاني عشر فى ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال أن امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل فى قضاء حاجتها فتبرز فتصلى يومها في منزرها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يافرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها العلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها أن ابنتك قد أخذها الجنون الذى أخذ الماشطة ثم أنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين ان أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين اربعة أوتاد ثم مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن عباس قال اخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى ان يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهى فى العذاب رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة

ونجنى الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى به تضحك وهي فى العذاب

(الباب الثالث عشر فى بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون فى كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ماقد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شيء الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع فى بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة فى نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من املاء الله تعالى له أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان فى تلك المدة أدرك جوع يوم أوحمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركب صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه له فلما عاين من أمر موسى ماعاين لم يرده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإنى لأظنه كاذبا فأمر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبنى الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا له منه وآتاه الأمر على ما يريده الى أن فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يريد فانى مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله فى ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب

ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه
بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع
فوقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى الهند وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل
فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم الفى الف رجل قالوا ولم يبق
أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أوحريق أوعاهة فامن نجار أوحداد أوبناء الا يبست
يده وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة
والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من امر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيلته لم تغن عنه شيئا فعزم على قتال
موسى وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم أن عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر
وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت إحسانه اليك ومنته
عليك حيث ألقتك أمك فى اليم قبحالك وبغضا لك لما علمت ما أنت سائر اليه من سوء
الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك
ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته
وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغني عنهم ما جاءهم
به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب
وبالآيات

(الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه
حين دناهلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته)

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد
البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى
ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) أما السنون فكانت
ببواديتهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم
الطوفان الآية (واختلف المفسرون) فى ذلك الطوفان ماهو (قال) ابن عباس كان أول
الآيات الطوفان هو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم
فاهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك
عن رسول الله ﷺ وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار
آل فرعون فافتضهن فى ليلة فلم يبق منهن باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدري فهم أول

من غذب به فبقي في الأرض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي وقتادة والكلبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القردان قال ابو العالية أرسل الله الحمنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

أرسل الذر والجراد عليهم وعذابا فأهلكتهم كبورا

(باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بني إسرائيل فامر فرعون قومه أن يكلفوا بني إسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى رجل من بني اسرائيل يقول له انطلق فاكنس معي حشي واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لأنفسكم ماتأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ماجئتنا كنا نطعم اذا استعملونا من قبل أن تاتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغي وعتا وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض

فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت
بنى اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا أن يحرثوا
ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى
ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه
فأنبت الله تعالى لهم فى تلك السنة من الكلا والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت
بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا ومايسرنا انالم نمطر
فأقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق
اشجارهم وزهرها حتى أنها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت
والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل
لايشبع وكان لايدخل بيوت بنى اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شىء فعجوا وضجوا
وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بنى اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد
بعدما اقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال أن موسى برز الى الفضاء فاشار
الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن

(فصل فى بعض ماجرى من الاخبار الغريبة فى الجراد) أخبرنى الحسن بن محمد باسناده
عن جابر عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد
اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بأفواههم عن
معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على
جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرحوت من البحر (قال ابن علاثة)
وحدثنى من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر
الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد فى سنة من
سنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشىء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن
وراكبا الى الشأم وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فاتاه الراكب الذى
دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه فى يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر فاول شىء يهلك من هذه الامم

الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذ قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه من غير رضاع وتابع بينه بغير شباع فقلت يا أبا المضىء ما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله ابن ضمرة السلولى قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لا تخطىء أبدا (أخبرنا) الحسين وباسناده عن الاوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا الخبيث ما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملا حتى أن أحدهم ليبنى الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملىء قملا فلم أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل واخذ القمل اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليها ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذى يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أى أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قد أحق أن نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فاوحي الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا

الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى
تأعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم أنها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا
تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أفنيتهم وآنيتهم
وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثبت الضفادع في فيه وكان أحدهم
ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه
ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لاكلته
فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا انسدخت فيه ولا
يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا
منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله
تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف انفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي
مسجورة فاثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق
عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها
باقدامهم واروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف
عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فاخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى
دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روى أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويعيلها
ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن
مدينتهم بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا في عافية وقيل
اربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله
عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطىء البحر فيضربه بعصاه ففعل
ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وما يسقون من الانهار والآبار
الا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا
شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي
والاسرائيلي فيكون مايلي الاسرائيلي ماء ومايلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي
والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا
يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل

فرعون تأتى الي المرأة من بنى اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أوتصب لها من قربتها فتعود فى الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه فى فمى فتأخذ فى فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والسيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش فى تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا ومرا زعافا فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذى سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسي ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوه عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالى ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الأخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وأعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعبدونني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعير والعيد لكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسي ذلك كما أمره الله تعالى فامر فرعون بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلى فاعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يفيء على موسي وقومه أفضل أموال

أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطف منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد ابن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان الجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز ابن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وماشككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في أرقائهم دون أحرارهم اذا العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ماخلا الذي بأيدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم)

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب بانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم ثم أخبز وافطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي بهم الى البحر فيأتيك أمرى فأمر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة وكانوا سبعون ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل

موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموال الناس معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم أن فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان دهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسير واضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك أن دللتك عليه أتعطيني ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أستأذن ربي فامره ربه أن يعطيها مناها فاعطاها ذلك فقالت له اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبير لا استطيع أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله اذ يحسر عنه الماء فدعا الله فحسره عنه فقالت له احفر هنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك اخبرني الحسين بن محمد باسناده

عن ابن ابي موسى الاشعرى عن ابيه عن النبي ﷺ قال نزل النبي ﷺ باعرابى فاكرمه
فقال له عليه السلام تعاهدنا فاتاه الاعرابى فقال له عليه السلام ماحاجتك قال له الاعرابى
ناقة يارسول الله برحلها واعنز تحلبها اهلى فقال رسول الله ﷺ ثانية ماحاجتك فقال مالى
حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بنى اسرائيل كانت احسن مسئلة من هذا وذكر
الحديث الذى فى قصة يوسف قال فلما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح وعادت ترمى
بموج الجبال فقال له يوشع بن نون ياكليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا
فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذى
يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون ياكليم الله اين أمرت قال ههنا فكبح فرسه
بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل
ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر
وكان الماء فى ذلك الوقت فى غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله
تعالى اليه ان كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يااباخالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فلق
كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذى اقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل
سرجه ولا لبده وظهر فى البحر اثناعشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وارسل الله
تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر
يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير ارسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان
لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى
اسرائيل (اخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سيلام أن موسى عليه السلام لما
انتهى الى البحر قال يامن كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء اجعل
لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله
ﷺ الا أعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يارسول
الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ قالوا
فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم
بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء

شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا
وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وذلك انه لما خرجت
ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى ان يدعو البحر
ليرجع الى حالتـه الاولى فاوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أى ساكنـا على حاله انهم جند
مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر راوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف
انفلق لهيبتى حتى أدرك اعدائى وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه
ان يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون انثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام
على فرس له انثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن
أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في اثرها حتى خاضوا
كلهم وجاء ميـكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابـكم فلما أراد
فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد اتيت الى هذا الموضع
مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه
هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع
الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصـان فرعون فخاض جبريل
البحر فتبعها حصـان فرعون فأقحمه البحر فلما توفوا فى البحر وهمّ أولهم أن يخرج من البحر
أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بنى اسرائيل
فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعنى الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه
السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم أن جبريل
اراه فتياه وتوقيعه الذي فيه وقال له انما هذا فتياك الذى أفتيت به ثم جعل يدس فى فيه من
حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفى الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس عليـه
لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى
ولو رأيتنى يا محمد وأنا آخذ من حمأ البحر وأدسه فى فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله
بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ماهذه الضوضاء فقال لهم

ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأ البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا اما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا احمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصه ثم أن يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا ياموسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فامره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه

فتسوك بعود خرنوب (وقال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم فى العشرة الايام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعنى من ذى الحجة (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع الشهور تنقص ماخلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسي سبعون حجابا فرفعها الله كلها الاحجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى أنظر اليك (قال السدي) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين قدمي موسي فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال إلهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولان أنظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل فى مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت ان الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لهـا وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأي الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) فى معرفة التجلي قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله ابن سلام وكعب ماتجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ماتجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ماروى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار وقال الحسن أوحي الله تعالى الي الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكي لى عن سهل بن سعد الساعدى أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب إذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرىء كل مريض وزال الشوك عن الاشجار

واخضرت الأرض وازهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ماتجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة مالابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون ياابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى اربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شىء ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير مارأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كامثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وآيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك ياابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شىء من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شىء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف

موسي فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم ياابن عمران مكانك حتى تري بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا في يد كل واحد منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لايموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك ياابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لايموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربى وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك انت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت اليك لك الحمد لاشريك لك انت رب العالمين (قال السدي) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (اخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن ديلم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة الواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرد خضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والأرض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله فى الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة

وأشرقت الارض بالنور ثم امر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الألواح على السماء فلم تطق حملها الثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يارب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا فى القرآن فقال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

(فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة)

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا إله الا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئا واشكر لى ولوالديك إلى المصير أحيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم باسمى ولا تشهد بما لا يعي سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ماذكر عليها اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبره مقتا عندى وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمانى عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله تعالى ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث

آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله تعالى
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو عمرو محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم
بها أحدا من العالمين قبلى قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين أى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام
قال موسى يارب ومن محمد قال قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن أخلق السموات
والارض بألفى عام وانه نبى وصفيى وخيرتى من خلقى وهو أحب الى من جميع خلقى وجميع
ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت امة أكرم
عليك من أمتى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع
الخلق قال يارب ليتنى أراه وأراهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم
اسمعتك قال يارب فانى أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى ياأمة محمد فاجبنا كلنا من أصلاب
آبائنا وارحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله
تعالى ياأمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل أن تسألونى
وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل أن تعصونى من جاء يوم القيامة
بشهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد
البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من
الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
على بن نصير المكى قال أخبرنا ابو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد
قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبيه أن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود
يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك
عما أبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى عليه
الصلاة والسلام أن موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل
الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى
فقال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى أن موسى
نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا

قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فقال موسي فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمتى يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غيران موسى كان يجمع صدقات بنى اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كى لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسي نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد احيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسي نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال الله تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن

عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغي قال جئت ابتغي الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى وقال عبدالله ابن مسعود لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا فى ظل للعرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بربوا لديه لا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لى ماجرى من ذنبي وماغبر وما بين ذلك وما أنت اعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب أى الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تنساني قال أى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال فاى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا ياموسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعدما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لاحد مخافة أن يموت (وأخبرنى) أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن أبى شيبة قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله القزوينى قال حدثنا محمد بن مرزوق النصرى قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمى

قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال،
قال رسول الله ﷺ لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة
على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن
شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش
قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن ابيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته
نار الشدة ﴿ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل ﴾
قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى
الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة
واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي
بلقاء أنثى لا تصيب شيئا الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه
الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي)
انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى
جبريل على فرس بلقاء خطو تهامد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت
خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني
اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام
انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكا
من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربي السامري جبريل عليه
السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا وبالآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع
الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام
وكل بالسامري وعلا لبونا يسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس
فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه وكان ابو عمرو
السكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل
دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامري أز أهل
دوزخ بود قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال
غيرهما كان رجل صائغا من أهل باجرمي واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسي ظفر وكان

رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين قعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامرى حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغى لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم ان تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بايدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبي الله هل اقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون أألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أي أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض الروايات أن السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم

والهموسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فأتاكم ربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبي طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم قال الحسن البصرى اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة الف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى ياموسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى ياموسى يارأس النبيين ياأبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يعزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى ومامن سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الأيام

والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ماصنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى أى بذوائبى انى خشيت ان قاتلتهم أن يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى أى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامرى وقال له ماخطبك ياسامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعنى أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها فى العجل وكذلك سولت لى نفسى أى زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل أنهم قد أخطؤا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فأى شىء نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أى ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعنى القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بنى اسرائيل الا بالحال الذى كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا الامره وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيه القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقال يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن

أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فذلك
قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل
بالمبرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون
وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فأخذ
موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه
استخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت
عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت
وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فأقروا بحب العجل وعبادته وقالوا يا موسى انا قد
ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم
فاقتلوا أنفسكم ثم أن موسى هم بقتل السامري فاوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخي
فلعنه موسي وقال له فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه
أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه فصار
السامرى وحشيا لا يالف احدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه
قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة أن بقاياهم الى اليوم يقولون
ذلك أى لا مساس وفى بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم كلاهما فى
الوقت قالوا ثم أن الله تعالي امر موسي أن ياتيه في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه
من عبادة قومهم العجل فاختار موسي سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله
تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه أن يختار
من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى) أنه اختار من كل سبط ستة نفر
فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما امرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
على ذلك فقال موسي ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا
فامر موسي السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور
لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسي قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا ياتيه
الا باذن منه فلما دنا موسي الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا
موسي ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع
لا يستطيع أحد من بنى اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا

في الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا احسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثنا كم من بعد موتكم الآية أخبرني الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله ﷺ اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

(باب في قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يخيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابني عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخي قارون وقارون عمه لأبيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا في معنى هذا البغي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرني) الحسين باسناده عن المسيب ابن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الثياب

شبرا وروي شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة الآية أي لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا في سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفي الخبر أن الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندي أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفي باسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بني اسرائيل فقال له قارون فاي رأي عندك قال نكتسب يوما في الجمعة و نتعبد بقية الجمعة قال فنكسبا في يوم الجمعة وتعبدا بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأي الرأي عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق و نعطي قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قارون ابواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء

بالعصبة وكانت أربعمائة الف فى أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا ... أطمعتنى فى كنز قارون

جئت من الليل بغسالة ... تغسل ماقلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم خرج فى سبعين الفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه ان يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيطا أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون الله السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم ان يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل

هذه الا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان أيضاهذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الي هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا في هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل الف دينار دينار واحد وعن كل الف درهم درهم واحد وعن كل الف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء واحد ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فاتوا بها فجعل لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا

ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة
ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له
قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى
يافلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني
اسرائيل وأنزل التوراة على موسى ألا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت
في نفسها لان أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن
جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون
ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول
يارب ان عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي
وسلطني عليه فاوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال
موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه
فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم
قال موسى ياأرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم
ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى جنوبهم ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى أحقابهم
ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى
موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روي في بعض الاخبار انه ناشده سبعين
مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت
الارض عليهم وأوحى الله الى موسى ياموسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم
ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله
تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وانه يجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة
(اخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال احمد بن محمد بن الحسين قال
اخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا اخبرنا عبد الرزاق
اخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال اخبرنا ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف
الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه

الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه أني لا أعيد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله تعالى كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجي الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال الله تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

(باب في قصة موسى حين لقى الخضر وماجرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء في السبب الذى قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس أن نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان في عبادك أحد هو اعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام واذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أى عبادك أحب اليك فقال الذى يذكرني ولا ينساني قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب أي عبادك أعلم قال الذى يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض احد أعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فاين

أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علماله ودليلا
وقال اذا حيي هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفي
عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن
والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون
وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه
محبة منه وآتاكم من كل ماسألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك
نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا
الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث
لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل
ان لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه اياه فاوحى الله اليه أن ائت
البحر فانك تجد على شاطىء البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطىء البحر فاذا
نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع
البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني
ابن عمران لفتاه أي لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا
أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال أبي بن
كعب هي افريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا فذهبا ومعهما
الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد
وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا
الا عاد حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك
قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا تركا حوتهما وانما كان الحوت
مع يوشع وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى اني نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما
والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون
العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفية ذلك
فروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم
يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى
أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى

يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر سربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلق بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يبسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى أخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت أى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال عبد الرحمن ابن زيد أى شىء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر فى البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهي الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أى نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذى جا آمنه قصصا أى يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعنى الخضر عليه السلام

(فصل فى ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن

محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بامر ان انت كتمتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ماذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل مارد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم أن أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك

بيدى وإنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غيرابنى ولست تلدين عندابنى فقالت مامسنى منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدرأحد من خلق الله تعالى اين توجه فندم أبوه على مافعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم انى اقول لكم شيأ فاكتموه عنى فان كتمتوه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وافشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ماشئت قال هل بعث أبى فى طلبى احدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذافا كتموا امرى ولا تخبروا ابى انكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظرائكم الذين ارسلهم فى طلبى فلم يرونى لانكم لوأخبرتموه بى أوذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم انتم مؤاخذين بدمى قال فخلواعنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخليناعنه وقال العاشر مالنا به علم ومالي به خبر والتسعة قالوا بلى قدظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتونى به وأن الخضر خاف أن يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم أبوه قال وان اباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا يابنى حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر رؤيا الخضر مايؤمننى أن يقتلنى كما اقتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أين فأخبرته خبرها فقال ياهذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك ان أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتي أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنامت فادفنيني فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لاأحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخر نا موتا يوصى أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجىء بالمرأة الى حضرته فأمرها ان ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء واغلى غليانا شديدا وامر بالمرأة وولدها فلما احضروا قال لها ارجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك

فى هذا القدر فأ بت عليه فامر بولدها الاكبر فألقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن رضيع فأرادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع لها وقال لها اصبرى فانا جميعا فى الجنة فلما أرادوا ان يلقوها فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة يسيرة قالوا وماهى قالت اذا رميتمونى فى القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسرى رسول الله ﷺ وجد رائحة طيبة فقال ماهذه ياجبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ أن قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من الواحها فضربتهم الامواج حتى اسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان فى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما ارزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على ان تعطيانى عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشىء مما تريانه فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن اريد بلد كذا وكذا فدعا التى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم احدهما على الكتمان ونزلا الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقى فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا فقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من الواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم لحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا

فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله مارأينا ماقال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم وقال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فأدخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران في حدود المدينة فلا يلاقي كل واحد منهما غير صاحبه فلما أن كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فبأي شيء نجونا فأخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فأكتسب عليك وتكسبين علي حتى يقضي الله من أمرنا مايشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك ربا غير أبي فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فأرسل اليها فحضرت فقال لها ماهذا الذي بلغني عنك فقالت هو مابلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذاهم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لانقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فلئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فألقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وماهي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر بيتنا أن يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب مافي القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة

السمك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره وكان في
زمن فريدون الملك بن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر اليسع
وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل
الاردن ادعوا الارض التي احتفرها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام
الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين
نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في محلته فخلد وهو في
الحياة الى الآن وقيل أن ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر
عليه السلام على مقدمته هو فريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان
آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل (وروى) محمد
ابن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو ارميا بن خلفيا وكان من سبط هرون
ابن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول
أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان في عصر كرفشت بن
كراراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان مالا يجهله
ذو علم بأيام الناس واخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن
كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه
السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما نبيء
في عصر منوشهر الملك وكان منوشهر الملك بعد ملك جده افريدون فدل هذا على خطأ من
قال انه ارميا بن خلفيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من
المدة مالا يخفى على أهل العلم اللهم الا ان يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة
ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في
أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشئة بن أروص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح
انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن
سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم
وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد
ابن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان

ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد على الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي أخبرأ بو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع رسول الله ﷺ واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فأبصر ماهذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله ﷺ فاعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول لك من أنت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله ﷺ فقال لي اقرىء رسول الله ﷺ مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان لك في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لا تبعك واتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسى خطر ببالك أنك أعلم أهل الارض ماعلمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني أعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا يعني مالم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء علمته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ماهؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما زجوا في البحر

أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ماهذا جزاؤهم منا لقد جئت شيئا امرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري قال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر ياموسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظفرهم وأضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا اصبح لجأ الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي في فراقي (اخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان اخبرنا مكي بن عبدان اخبرنا عبد الرحمن ابن بشر اخبرنا حجاج بن محمد اخبرنا حمزة الزيات عن ابي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احدا بدعا له بدأ بنفسه

فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية فقال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافهم فابوا ان يضيفوهما قالوا كانوا اهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوي وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض اى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به اهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه و بناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه اجرا ليكون لنا قوة و بلغة على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدار والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذين كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوى الف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه الف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقى الله تعالى فأردت أن أعيبها قطعا بطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا و راءهم أى امامهم قال الله تعالى من ورائه جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أى أمامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ

كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كي لا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا فى اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الاردنى وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا أن يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشي أن يدرك فيدعو أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه فى دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم و برا بوالديه فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد بن أحمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه فى هذه الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا فى ذلك الكنز ماهو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجمشادي المزكي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن فيدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء

(أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر وقال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده و بقعته التى هو فيها والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وسترة وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يا بنى لازيدن فى صلاتى من أجلك لعلى احفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت أسن منى فاختلطت و ذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهر فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ أنا بباب بيتى يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى بت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يا بجة فقلت وعليك السلام فقال لى ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شىء فى حكمه لو شاء لجمعهما لى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلى فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية أنه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن امرى وانما فعلته بامر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له يا موسى أتلومنى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين القتك أمك وأنت صغير فى اليم ضعيف فحفظك الله وتلومنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومنى على ترك أخذ الاجرة فى اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا الاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا فى التيه فلما فارق موسى الخضر

رجع الى قومه وهم فى التيه (ويروى) عن على بن أبى طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصنى فقال له الخضر لا تكن مشاء فى غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو امامة الباهلى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بني اسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى من شىء أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فانى أرى الخير فى وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شىء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شىء أعطيكه الا أن تأخذ بيدى وتدخلني في السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول إنك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربى وقد أجبتك فخذ بيدى وأدخلنى السوق فبعنى فأخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه بار بعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله فى شىء فقال له الخضر استعملنى فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الاستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر انى أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفنى فى أهلى قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملنى فى شىء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبنا أريده لقصرلى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ماأراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعنى فى العبودية أما أنا فسأخبرك أنا الخضر سألنى سائل بوجه ربى أن أعطيه ولم يكن معى شىء أعطيه فأمكنته من نفسى حتى باعنى وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس علي وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحكم على فى مالى وأهلى وان

أحببت أن أخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلي أعبد ربى وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه اربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك واعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم ان لا يخسر احد فى معاملتى فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فالقاه هناك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل القاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتيل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين فى الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا فى بنى اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطنى ثمن اللؤلؤة فقال ان أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه

فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرني حتى ينتبه أبي فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يابني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه قالت له أمه يوما يابني ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فأتي الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردى على فاقبلت تسعى حتي قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أشرت الى الجبل ان ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له أيها الفتى اني راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني وحملت عليه زادي ومتاعي حتي اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وماقدرت عليه واني لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتنجيني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال إذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان

أمى لم تأمرنى بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتي وقال بسم الله اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتي البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لما قدرت على أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاء ني ملك انتزعنى من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتي كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم إنها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتامرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي وماسمتها قال موسى انه يعنى الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ماتؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشىء الحسن وقال على بن أبى طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان

شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بامه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبي وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعني عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أي فاختلفتم فيها والله مخرج أي مظهر ما كنتم تكتمون أي تخفون فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها أي بعض البقرة واختلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا اولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلته وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو اولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب اساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو اول ما يخلق الله وآخر ما يبلى قال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما احيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان اوحى الله تعالى الى موسى ان يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين اومحلتين فيأخذ اقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى اهله وان لم يعلموا تخير وا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم لياخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا ايديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى اوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى ان مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله اعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار

التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم و بيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا و يجعل فيها اثنى عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بنى اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع فى ستمائة ذراع وان ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت من ثياب محلاة الباطن الاول سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التى تمد بها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وان ينصب فى جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع فى أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بانواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التي تمدها من أصواف القربان وان يجعله مصبوغا بالوان من أحمر وأصفر وأخضر وان يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن الاول منها سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وان يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بالوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع فى أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه

موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان
التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيهما من بني اسرائيل مثقالا
من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج اليه من الحلي
والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا في أرض بيت
المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فاخذ منهم
ذلك المال وأوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيئا ولا
تطفأ أبدا تأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب
معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر وأمره أن
يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار
التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء
تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها وأني قد اصطفيتك بها وأوصيتك
بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بامر وأوصاه به وانه قد اصطفاني
له وأوصاني به واني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة
هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا
القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما
وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فاوحى الله تعالى
الى موسى هكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعداني
وهذا آخر القصة والله أعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الي الشام حتى جازوا البحر وصفة
حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

ثم قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء
وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ماهي فقال مجاهد
هي الطور وما حوله وقال مقاتل هي ايلياء وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم
بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض
وقال عكرمة والسدي هي أريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال
الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن خولة قال كنا عند النبي ﷺ فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يا رسول الله اختر لى أن ادركني ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لى بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله ﷺ قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدا في العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى أمركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أبذ بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدى والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا فى هذا الرجل العدو الذى قد أرهقنا فادع الله أن يردعنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت

دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتي قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر
مايؤمر به في المنام فتآمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد
آمرت ربي فى الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب
فقال قد آمرت فلم يجب لى شيئا فقالوا لو كره ربك أن تدعوا عليهم لنهاك كما فعل فى المرة
الاولى فلم يزالوا يرققون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتي فتنوه فافتتن فقالوا البعضهم
اهدوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على
موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى
رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقا
فاهدوها لها فاقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن
لك فى مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتي استجاب فلم يجب اليه بشىء فقالت
له انه قد خيرك فى الدعاء عليهم فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل
يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فساسار
عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به
كثيرا حتي ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به
فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها فى الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام
أين تذهب ألا ترى أن الملائكة امامي تردنى عن وجهى هذا اتذهب الى نبي الله والمؤمنين
تدعوا عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة
ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما
برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب اتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى
اشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشىء من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه
ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الي بنى اسرائيل فقال له قومه اتدرى ماتصنع
يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا امر لا املك منه شيأ قد غلبنى الله عليه فاندلع
لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق الا
المكر والحيلة فسآمر لكم واحتال فجملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن
الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وامروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم
لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين

اسمها كبشا بنت صوريا برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط
شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ بيدها حين اعجبه حسنها وجمالها
ثم وقف على موسى وقال انى سأظنك ان تقول هذه حرام عليك فقال اجل هى حرام عليك
لا تقربها قال والله لا اطيعك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فارسل الله الطاعون على بني
اسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد اعطى بسطة
في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون
يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة
وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد
اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة على لحيته وكان بكرا لعيزار
وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى
اسرائيل من الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى المرأة الى ان قتله فنحاص فوجده قد اهلك
منهم سبعين الف نفس في ساعة واحدة فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة
ذبحوها الخاصرة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه
واسناده اياها إلى لحيته والبكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففى بلعام انزل
الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) إن ملك البلقاء قال لبلعام ادع
الله على موسى والا قتلتك فقال انه من اهل ديني ولا ادعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما
راى ذلك خرج على اتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها
فقالت له لم تضربنى وانا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار امامي قد منعتنى ان امشى فرجع
فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل
المدينة فاستجيب له ووقع موسى و بنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب
وقعنا فى التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعائه على فاسمع دعائي عليه ان تنزع
منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة
بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآيه (وقال آخرون) هو نبى من بنى اسرائيل يقال له
بلعام أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه (وقال) عبد الله بن
عمرو زيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى كانت قصته
أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت

ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بى ثم قطرت عينه ثم غشى عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا صائر أمره الى ان يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى فى قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله ﷺ ماأطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدى شعر أخيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا فلا شىء أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء المهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهى قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التى يقول فيها

عند ذى العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظنى أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما احترمت فانى سوف القى من العذاب فريا

فقال ﷺ آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت فى أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبي ﷺ الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى ﷺ ماهذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبى ﷺ لست عليها ولكنك أدخلت فيها ماليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وأرسل الى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر

وآتي بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظارا لمجيئه فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البسوس وكان رجلا قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحالة التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت ببني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال ياموسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وامره عليهم وهذه اسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط ريلون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن مليقيك ومن سبط يقال حيي بن وقسي ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل ومن بسط لاوي خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميشا حيي بن سوسي ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين الف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروي) انه أتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملني معك فى سفينتك فقال له اذهب ياعدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وماجاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله علي يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ فى فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة علي قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت فى عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع فى الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغي علي وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بغت بعث الله اليها اسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعني اصحاب موسي وكان علي رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلي فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بمارأوا ففعل ذلك وخلي سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم فى خشبة ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شانهم واخبروا موسى وهرون فيريان رايهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم واخبروه بمارأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبروه بمارأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما

قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوقنا ختن موسى على أخته مريم
بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا
فى أرض مصر أوليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا
وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف
الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة
كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها
عليكم وان الذى أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذى يبلغكم ويظفركم عليهم
فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون
وكالب بن يوقنا الى القوم وهما اللذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة فى قوله تعالى قال
رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعني باب
مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم
فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين فارادوا بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها
أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت
فاستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اما والله لا نقول لك كما قال قوم
موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون
والله لا نقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا
لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعني مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب
هذا المشهد أحب الى من الدنيا ومافيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من
معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال
رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة
عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصيني
هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا

أقوى وأكثر منهم فقال موسى إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولياًتينهم حتفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذاهم أمسوا فاذاهم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا ومات اولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب ابن يوقنا ولم يدخل أحد اريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت اربعون سنة ونشأت النواشىء من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم

(باب فى ذكر النعمة التى أنعم الله بها على بنى اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتي التى انعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها والعد لايقع على الواحد التي انعمت عليكم اى على اجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر ونجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وانزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون اليه واعطاهم ماعطاهم فى التيه وذلك انهم قالوا لموسى اهلكتنا واخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لاظل فيها ولاكن فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق واطيب وابرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعنى فى التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا

من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجي المن ماعن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكماءة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى ربه فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل أنه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرخ هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمهما بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال مارزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا الغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا أي أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤونة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي ابن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عوف بن عبد الله عن جلاس ابن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن انثى زوجها ومنها أنهم عطشوا في التيه فقالوا ياموسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء

فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر فى أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل
سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول السبط الذى امر بسقيهم
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع على الحجارة بالعصا
ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى
الرمل والى الارض التى ليس فيها حجارة فامر موسى أن يحمل معه حجرا الخيث مانزل القاه
وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف
واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا فى ذلك الحجر ماهو فقال
ابن عباس كان حجرا اخفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر ان يحمله فحمله فكان يضعه فى
مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء اخرجه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم
قال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة
عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان
كل يوم يسقى ستمائة الف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى
عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى
ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره الله تعالى
فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو
ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدي باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل
وحده فقالوا والله مايمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع
ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج فى أثره موسى يقول ثوبى يا حجر حتى نظر بنوا
اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعدما نظر اليه بنوا
اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر
ستة أو سبعة قال عبد العزيز الكنانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر
كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالأنهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا (منها) أنهم قالوا لموسى فى التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم
التى عليهم حتى لا تزيد على الايام ومرور الاعوام الاجدة وطراقة ولا تخلق ولا تبلى وتنموا
على صبيانهم كما تنموا فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فتح اريحاء ونزول بني اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح أريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم عن بقي من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء أن عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ماقاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا امات موسى وهرون عليهما السلام في التيه.

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذاهما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبني وفيه سرير عليه فراش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى اني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال اني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال ياموسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسي خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسي ويحكم انه هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمر بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه مالقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أناقتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله أعلم.

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله ان يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسالك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتدي به وتذكره ولا يذكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق بني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه الف نبي يكونون عوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد ابن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك ارسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فأدنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله ﷺ لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله ﷺ يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) أن رسول الله ﷺ قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية قال السدي في خبر ذكره عن ابي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال ياقوم أظن أنها الساعة واني ملتزم موسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا اقتلت نبي الله فقال والله ماقتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وارادوا قتله فقال لهم اذ لم تصدقوني فاخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانا قد

رفعناه اليناافتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضى حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فأقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم يرشيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط فى الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفى الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام فقال له كيف وجدت الموت يانبى الله قال كشاة تسلخ وهى فى الحياة (ويروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى بن عمران فمن الذى يطمع فى البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها فى ملك افريدون ومائة سنة فى ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب أريحاء وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبرهم انه نبى الله وان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحاء ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة أشهر فلما كان فى الشهر السابع نفخوا فى القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشى يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس على أو إنه قال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من اعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له فى النهار ساعة واحدة حتى قتلتهم أجمعين (أخبرنا) أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت على رضوان الله عليهما فرأيت فى عنقها خرزا ورأيت فى يدها مسكتين غليظتين وهى عجوز كبيرة فقلت لها ماهذا فقالت انه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتنى أن أسماء بنت عميس الخثعمية

حدثتها أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان مع نبى الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم أن نبى الله سرى عنه فقال أصليت يا على قال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد * قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر مما قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا فى غار فامر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم فى ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع أن فيها غلولا فأمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال للقوم لا يتبعنى رجل كان قد ملك بضع امرأة هو يريد أن يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه فى الغنيمة وهى بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبى صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة ابواب سجدا أى منحنين متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا بآبائهم وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين

ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وذلك أنهم دخلواه تزحفين على استاهم وقالوا حطا سمقايا يعني حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم وقالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عزوجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا وخاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى فصار مجدورا أملوجا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام) قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر المفسرين) كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منهم طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أن أصحابنا كانوا أحزم منا لو

صنعنا كما صنعوا البقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذاهم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن محمد بن زكريا) قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * قد أصبح الله أمام الساري

فرجع الرجل لما اسمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملك ان الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأي الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم كموتة رجل واحد فما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا واروحوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدي بضع وثلاثين الفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فاحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيد الاقوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك

ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب ان افعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قدمتنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأى راحة لهم في الموت أيظنون انى لا أقدر أ بعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أقواما ماتوا فأتاهم فأوحي الله تعالى اليه ياحزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادي حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك ان تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك ان تعودى الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميا مثل الكفن حتى ماتوا الآجالهم التى كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم فى الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقيه آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

(باب في قصة الياس عليه السلام)

قال تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذى عهد اليهم فى التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون

صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أوغيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الي جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحري أن تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكي في أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته فاغتنمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكي في أن تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى مسألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكي وقالت له بلغنا عنك أنك شتمت الملك واغتبته فأنكر مزدكي ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا

أترانا نفلح بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما وقد آل على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى والا يهلكهما يعنى لاجب وامرأته فى جوف الجنينة أشر ما يكون بسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما اوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم انه باطل شىء وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقى فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا ياوي الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون فى أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تمت له سبع سنين أذن الله تعالى فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فادنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بانواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون فى التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا

ألماوجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان فى ناحية الشام آلهة أخرى وهى
فى العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه
غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاى
شىء غضب على وانا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل انك لم تقتل
الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك قال
لاجب وكيف لى أن أقتله فى يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لالياس
مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره
حتى آخذه وأقتله وأريح الهى منه وأرضيه قال ثم انه بعث الا ربعمائة نبى ليشفعوا الى
الآلهة التى بالشأم ويسالوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام
وكلموها فمنع الله عز وجل الشياطين الولوج فى الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه
بذلك فقال الملك وكيف لى ان اقتل الياس فى هذا اليوم قال فخرج اربعمائة حتى إذا كانوا
بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يهبط من الجبل و يعارضهم و يستوقفهم
ويكلمهم وقال له لا تخف فاني سأصرف عنك شرهم والقى الرعب فى قلوبهم فنزل الياس من
الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من وراءكم فاسمعوا
ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست
تعلم يالاجب انني انا الله لا اله الا انا اله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم
فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على ان تشرك بي و تطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن
لا يملكون لانفسهم شيأ الا ماشئت وانى آليت باسمي لاغيظنك فى ابنك ولاميتنه من
فوره هذا حتى تعلم ان احدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملؤا منه رعبا
فلما صاروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس واخبروه بان الياس انحط عليهم من
الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من
شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له فى قلوبنا
الرعب والهيبة وتقطعت السنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر ان نكلمه
ونراجعه وغلا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا
أنتفع بالحياة مادام الياس حيا ما الذى منعكم ان تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى
به وأنتم تعلمون انه طلبتي وعدوي قالوا له قد أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به

فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا اذا لك الجبل الذي فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يانبي الله ابرز لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ماقلت وآمنا بك وأجبناك الى مادعوتنا اليه فهلم الينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا واحكم بيننا فانا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته ان يعلمنى مافى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فأحرقوا اجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى امر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يانبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولا علمنا بهم ولو علمنا لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم نارا فاحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه الا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء ان يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من

الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاءمعهم آنسا بالكاتب واثقا بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وأتعظ فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم أنه أمر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قال له وقال له وانى لخائف اذ رجعت اليه ولست معى ان يقتلنى فأمرنى بما شئت ان افعله وانتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت ارسلتنى اليه بما تحب فأبلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب وإنى ساشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لى به علم وذلك أنه قد شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس مل المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق

حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة
أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها
ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده
فى الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه
وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به
فخرجت فى طلب الياس فلم تزل فى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه
وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى
ولد غيره فارحمني وادع ربك تعالى أن تحيي لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته مسجى
لم ادفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد
مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يامرني بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب
الياس عليها فقال لها ومتي مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها
وسار سبعة أيام حتى اتي الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ
وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى
موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فاوحي الله اليه بعد
سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود ياالياس ماهذا الحزن والجزع الذى أنت فيه الست
أمينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى فاسالنى اعطك بانى ذوا الرحمة
الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت
بني اسرائيل وملونى وابغضتهم فيك وابغضونى فاوحي الله اليه ياالياس ماهذا اليوم الذى
اعرى منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلنى اعطك قال
الياس فان لم تمتنى ياإلهي فاعطنى ثأرى من بنى اسرائيل فاوحي الله تعالى اليه فاى شيء
تريد أن أعطيك ياالياس قال تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشيء عليهم
سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذلهم الا ذلك
قال الله تعالى ياالياس انا ارحم بعبادى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم
بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا
ظالمين قال فاربع سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين ولكننى اعطيك ثارك
منهم ثلاث سنين اجعل خزائن المطر بيدك ولا انشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا انزل

عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شيء اعيش قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخير في بيت قالوا لقد دخل الياس في هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأوا بني اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان الياس اتي الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن اخطوب وكان به ضر فآوته واخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله اعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذى ادعولهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا أن اصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيئا فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم ان يفرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا ياالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام

بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم ارسل الله عليهم المطر فأغاثتهم وأحيت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا اليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فأنبت الله منه الحمص وأمرهم ان يبذروا الرمل فأنبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن أخطوب حتى اذا كان بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع ياالياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورممت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) بن فنتحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت علي رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي ان يرفع عني ما اجد حتى افهم حديثك واعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يابر يارحيم ياحنان يامنان ياحي ياقيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما اهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في

السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطيء الفرات ورجلان بالمصيصة ورجلان بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا استغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا وإياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعي في وادي الاردن فرفع رأسها اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج وإياك والنساء الاربع الناشرة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن ألقاك قال اذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا اعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعوني وإياه فأتاه بصورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم

ظاموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فاني آخذلك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فأتني وفاتته القائلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فاذا كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد على فقال أما من قبلى فما أتى فانظر من قبل من أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه فى البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما ألجأك على هذه الفعال فقال له انك أعييتني فى كل شيء أردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال اخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لولم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فاني مافعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصى الله بعدها قط أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا أن الله تعالى قد غفر لذي الكفل وقال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى فى كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

(مجلس فى قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة)

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

(فصل فى سياق الآية ومقدمة القصة)

قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بنى اسرائيل وكان فيهم ماشاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويرجعون به معهم الاهزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم فى أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكله منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ماعهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون أحيانا فى غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التى آل أمر بنى اسرائيل فى بعضها الى السياسة فيهم وفى بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم فى هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

(القول فى بدء امر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه كان لابى شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهى أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد قال وكان لبنى اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأتاه وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب

واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت ام الاولاد العجوز الحمد لله الذى كثرني بولدي وقللك فوجمت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي واجبت دعوتي فاجعل لى علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألمها زوجها فحملت وكتمت أمرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك أنا طوعك فامرني بما شئت أفعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك انا طوعك فامرني بامرك أفعل ما تامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذى تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا ملاذا

فانطلق الى عيلى فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بامره حاكما
بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك
وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين
الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق
وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على
هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرساله
وقم بعده بالخلافة . لما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده
عيلى ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيأ فى القربان لم يكن فيه وذلك انه كان
مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذى كان يسوطه
فجعل ابناه كلاليب فاوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد أن
تزجر ابنيك أن يحدثا فى قربانى وان يعصيانى فلانزعن الكهانة منك ومن ولديك
ولاهلكنك واياهما فاخبر شمويل عيلى ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم
فامر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما
تأهبوا للقتال جعل عيلى يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره
بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق
ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر ان التابوت قد سلب وان عيلى قد
مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بنى اسرائيل واختل
واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وذلك بعدما دبر
شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبى من عدوهم بشؤم
معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله وانما كان قوام
أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذى يسير
بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبى منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه
بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة فى
أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم
ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله يعنى شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن

عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفا فاولم ينسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فاجابوا عاقص الله في كتابه قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

(ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت ومايتعلق به)

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أقيل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابي طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمر ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الي فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بني اسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتي أدنى بيت في بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط

لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم

داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما
كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر
الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن
أحق بالملك منه ومع ذلك أنه فقير ولم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة فى العلم بالحرب والجسم يعنى بالطول فى قومه والقوة وانما سمى طالوت
لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل
رجل فى بنى اسرائيل وأعلمهم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك
قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من
الجنة حين أهبط الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم
وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع
مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره
الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تاخذه فى الله لومة لائم ومن ورائه ذو
النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه على بن أبى طالب
كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد
بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء انصار الله وأنصار
رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس فى دار الدنيا وكان التابوت نحوا
من ثلاثة أذرع فى ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذى يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب
وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم
الى أن بلغ ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل
كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم
الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه
وصية أبى ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر
عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا ياقيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل

انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما اقرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال له ياقيذار مالي ارى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أفي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهميه وهي العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات ياقيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم أن العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما أعلمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لأني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم أن قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مماذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ماهي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأسان كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدى عن أبي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك أن موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعله في التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونعلا موسى وعمامة

هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بنى اسرائيل اذا اختلفوا فى شىء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوّهم فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك فى أيام عيلى الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بنى اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة ذلك التابوت) أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن اله بنى اسرائيل لا يقوم له شىء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا يبيت الرجل صحيحا فيقرضه القار فيصبح ميتا وقد أكلت مافى جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على ارض فيها حصاد لبنى اسرائيل فكسر قرنهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته فى دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت

وعصا موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل يوم القيامة والله اعلم

(باب فى قصة شمويل حين اوحي الله اليه ان يامر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما اوحي الله الى شمويل عليه السلام ان يامر طالوت بالمسير الي جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه اومريض لمرضه اوضرير لضره اومعذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فيما ارى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامراة ولم يدخل بها ولا يتبعنى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع ثمانون الفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادمى فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه منى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدى) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وماجاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الي قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم اباه فقال يا أبتاه ماقذفت بمقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال ابشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يمني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففرطهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديدة وتراه هنالك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فأسبح فما يبقي جبل الاسبح معي قال ابشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الى أو ابرز الى من يقاتلني فان قتلتني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحي الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على بنيك فاخرج له اثنى عشر ولدا امثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكنا نأخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا اسقيما

مصفرا ازرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادى قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التى كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس. قدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه فى التنور فملاه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتى واجرى حكمك فى مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيا تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعى الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيا فاقوم اليه وأقبضه وأفتح لحييه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك. أرده الى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هرون الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملنى، فانى حجر موسى عليه السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى مخلاته فلما، تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا، وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سريع الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فما يغنى عنى هذا السلاح شيأ فدعنى أقاتل كما أريد فقال له طالوت. افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائه رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود التى الله تعالى فى قلبه الرعب فقال له انت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يابنى تأتينى بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لاجرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء. فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه فى مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه فى مقلاعه ثم أخرج ثالثا قال بسم الله اله يعقوب ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ماخرج

من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم فى أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له انجز الى ماوعدتني وأعطني امرأتى فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي وشأنك بها فقال داود لطالوت ماشرطت على صداقا وليس لى شىء فتحكم فى الصداق بما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لاتظلمه وأنجز له ماوعدته فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود أحسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتى فى المال ولا أكلفك مالا تطيق أنت رجل جرىء وفى جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتى فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاءبهم الي طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فأراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صبرا فلما احس داود بذلك حادعن رميته وامال نفسه من غيران يبرح من مكانه فارتكزت العكازة فى الجدار فقال له داود اردت قتلى قال له طالوت لا بل اردت ان اقف على ثباتك عند الطعان وربط جأشك للاقران فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ماقدرته فى قال نعم ولكنك لعلك فزعت قال معاذ الله أن أخاف الا الله ولا ألجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم أن داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لى كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال

داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء سيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم قال
طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك
انى أخاف الله رب العالمين فقال داود انى قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا
يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره فاخبرت بذلك بنت طالوت
زوجة داود أخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلنى
قالت أبى قال وهل أجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك باس أن تغيب الليلة
حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتينى بزق من
خمر فاتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت
نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه
للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا
يدعنى حتى يدرك ثاره منى ثم أنه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فاتى داود
ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه
وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن
شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود وهو خير منى
ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذى آمنه
فلما كانت الليلة القابلة اتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه
فاخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضا منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من
لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط
على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم أن طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه
السلام يمشى فى البرية فقال طالوت فى نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود
اذا فر لم يدرك فركض طالوت فى أثره واشتد داود فى الجرى فدخل غارا فاوحى الله الى
العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان
ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل
مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت فى شان داود فجعل طالوت
لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر فى بنى اسرائيل على عالم

ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله فى قلب طالوت التوبة فندم على مافعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى التوبة الا أخبرنى بها فلما أكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور ياطالوت أماترضى انك قتلتنا احياء حتى تؤذينا اموا تا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك ايها الملك فقال هل تعلم لى فى الارض عالما اساله هل لى من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدرى مامثلك قال لا قال مامثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا فى هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما اراد ان ينام قال لأصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل تركت عالما فى الارض فازداد حزنا وبكاء فلما راى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فاخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسالها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منه أنجيتك من القتل وأوثقتك منه قالت بلى قال لى اليك حاجة هذا طالوت يسال هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها أنه لا يريد قتلك ولكن يسالك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت ياصاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسالك هل له من توبة فقال له شمويل مافعلت ياطالوت بعدى قال لم أدع شيئا من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ماأعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك تجاهد فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم أنك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن مايكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار

كنتم تنقذونى قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز باولاده الى الغزو وكانوا عشرة فتقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذى تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس فى خلافة داود عايه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتي بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع ابن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

(باب فى ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن يوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن ارم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

(باب فى ذكر صفته وحليته)

أخبرنى الحسن بن محمد الدينورى باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين احمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

(باب فى ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك)

(فمنها) أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة فى خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفى خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ابرون وفى خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بنى اسرائيل خلفه وتقوم

الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنوا الوحوش والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وماصنعت المزامير والبرابط والصنوج الاعلى صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون مادهاكم فقالوا امرنا بماشئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده ويحاده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على جناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعدما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهي ماهذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أو ليس قد غفرتها لي قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يامر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا ياكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يارسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهي به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الي الصخرة فوكز

الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة فى هذا الموضع قوله تعالى يسبحن بالعشى والاشراق قال المفسرون يعنى صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هى الاصابة فى الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر فى القضاء وكان لا يتتعتع فى القضاء بين الناس وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر أخبرنا أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطى داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبى صالح عن كعب الاحبار فى قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبى قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذى أعطى داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التى أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل فى المحاكمة اليه وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال أن الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث فى السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه فى الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون باكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذى كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لى عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازى هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التى يدعيها قد وصلت اليه فقرب منى السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحا كمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل ومامرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشدّدنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدي فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الي أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك أني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى أنه مافر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ماروي في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الي الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ماتقول في داود والي كم هذا أى الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا في صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ماهي يا عبد الله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغنى به عن

بيت المال فينفق منه و يطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد و علمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع . هو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة آلاف درهم فيا كل و يطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واسعات وقدر في السرد أي لا تجعل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا (وروى) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة ومايتصل بذلك)

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق و يعقوب وسأله ان يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم و يعطيه من الفضل مثل الذى أعطاهم (فروى) السدى والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس و يوما يخلو فيه بنسائه و يوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود و بذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشيء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلنى كما ابتليتهم واعطنى كما أعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان في اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب

فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفى بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرآها امرأة من أحسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى سابغ بنت شائع امرأة أورياء ابن حنان وزوجها فى غزاة البلقاء مع ايوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أورياء الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا أن ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه باسا فبعثه فقتل فى المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبنى اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه يسالهم ويسالونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فاهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله فى الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد أن داود عليه السلام قال لبنى اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى (وقال أبو بكر) ابن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل فى الارض أحد يعمل عملى فأتاه جبريل

عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلني الى نفسي سنة فقال انها لكثير قال فشهرا قال فانه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أورياء لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهم الحراس ان يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلي فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط أرشدنا الى وسط الطريق المستقيم إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهذا من حسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكني عنها بالقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان احدهما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاورياء الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية الا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر إلى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث

والاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعني ما اكتسب من الوزر والاثم برمي من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة أن لا ذنب انما كان تمني أن تكون له امرأة أورياء حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فارسل أورياء فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياء غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي ﷺ لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ماقيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد بن الفقيه المغافري عن زكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان داود عليه السلام حين نظر الي المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البلقاء اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده زل داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أورياء اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دم الذي عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فاقول ان لك في الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا ابن فتحويه باسناده عن كعب

الاخبار عن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على
نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه
فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد
تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى
ربه تعالى ويساله التوبة وكان يقول فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلائق
بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب إلهى خليت بينى وبين عدوى
ابليس فلم أتنبه لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور إلهي تبكي الثكلى على ولدها
اذ فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه
والخطيئة لازمة لى لا تذهب عنى سبحان خالق النور إلهى لم أتعظ بما وعظت به غيرى
سبحان خالق النور إلهى أمرتنى أن أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف
فنسيت عهدك سبحان خالق النور إلهى خلقتنى وفى سابق علمك كان ما أنا صائر اليه
سبحان خالق النور إلهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء
سبحان خالق النور إلهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى
سبحان خالق النور إلهى بأى قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من
سوء الحساب سبحان خالق النور إلهى مضت النجوم وكنت أعرفها باسمائها فتؤنسنى
فتركتنى والخطيئة لازمة لى سبحان خالق النور إلهى أمطرت السماء ولم تمطر حولى
وأعشبت الارض ولم تعشب حولى لخطيئتى سبحان خالق النور إلهى أنا الذى لا أطيق
حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهى أنا الذى لا أطيق صوت
رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهى كنت تستر الخاطئين بخطاياهم
وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور إلهى رق القلب وجمدت العينان من مخافة
الحريق على جسدى سبحان خالق النور إلهى الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطىء
الضعيف الذى لم ارع وصيتك سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الذنب العظيم
الذى أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور إلهى أنا المستغيث وأنت المغيث فمن
يدعوا المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور إلهى أسالك بأبى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب أن تعطينى سؤالى سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفرلى ذنوبى ولا
تباعدنى من رحمتك لهوانى فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور إلهى انى أعوذ

بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق
النور إلهي انى أعوذ بك و بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق
النور إلهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني
يوم يبعثون سبحان خالق النور إلهي فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي
وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحان خالق النور قالوا فأتاه النداء أجائع أنت فتطعم
أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة
فهاج منها ما حوله ثم نادى يارب الذنب الذي أصبته فنودي ياداود ارفع رأسك فقد غفرت
لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام
أتاه نداء انى قد غفرت لك فقال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا
فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس
المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني
قال أنا داود قال ما جاء بك يانبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الى
قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
ألم تعلم انى حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه
فناداه ياأوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي قال أنا داود قال يانبي الله
ماحاجتك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك
واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على
رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين
الي النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين
الى النار سبحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت
ورثيت لطول مكانك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى ان تعفو عني
وصاحبي لم يعفو عني قال ياداود ان يعف أو لم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة مالم تر عيناه ولم
تسمع أذناه فاقول له قد رضيت عبدي فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا

عوض من أجل عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين بن محمد حدثنا محمد بن علي أخبرنا بكر بن أحمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النصر الكعبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني ابو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ أفسجدت أنت يا أباسعيد قال قلت لا يارسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله ﷺ حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلوا في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها ويجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه

أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه و يقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب.
فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها
وجهه و يقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود دموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم
لعدلها (أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان بن أبي عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام
سبحانك الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت
الى روحي الهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في
وجه داود مثل خد الماء في الارض أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما
أصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فأتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما
أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور
الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت أنت قال
داود فمن أنت قال أنا راهب راغب منزو مترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك قال اصعد تراه
ان كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا
أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند
رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف
قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر و تزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا
في ملكي اذ أتاني ملك الموت فأخذني وأخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي و الدود
جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به الا الحياء والخوف من الله تعالى
(قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه
فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعسى أن تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان
داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطيء ولا يشرب شرابا
الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى
يبتل بدموعه و كان يذر عليه الملح والرماد فيأكل و يقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود
عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان
صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب
أغفرت لي قال نعم قال فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم

القيامة قال فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت أوصاله ولا يشدها الا الأنين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبى عبد الله البجلى) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(باب فى ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى أن كان من أمره وأمر امرأة أورياء ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنوا اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بنى اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل فى الجبال فاشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يجمل فى الآخرة حدوثه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقى ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه فى طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه ويتلطف فى أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فركض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد فى ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحى الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الي قومه سنتين

(باب فى قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية (قال ابن عباس ووهب بن منبه) ان قوما من بنى اسرائيل سكنوا قرية على شاطىء البحر بين مصر

ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هنالك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسين بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل إنهم كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان اني أجد في بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا

عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل أيلة وعيسى ابن مريم يعنى كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكى فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شىء قال ابن عباس وقتادة أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمر على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذل صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح أن راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو

لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمر بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ماقضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق البنوة والابوة الا ما أخبرتني بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعى فى اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب

(باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم)

قال أبو هريرة رضى الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاثة عشرة مسئلة فاوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يابنى ان الله تعالى أنزل على كتابا من السماء فيه مسائل وأمرنى أن أسألك عنها فان أخرجتها فأنت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبى الله عما بداله وماتوفيقى الا بالله قال داود يابنى ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الأمر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسألة فان

أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له
ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان
فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يامرني
أن استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا
وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بني اسرائيل
وقال لهم انه قد بلغني مقالتكم فاروني عصيكم فأي عصا أثمرت فان صاحبها ولي هذا الامر
بعد قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا
ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليه اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال
وحرسه رؤس أسباط بني اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فأخرج
عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه
السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان
هذا خليفتي عليكم من بعدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما
السلام وعظه فقال يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك
والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شيء
واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا براء
واقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر
منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن
يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على
عالم ولا تماره في الدين واذا غضبت فألصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج
رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف اخفي أمره
وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم
بأبي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك في
مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان
اني ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على
شيء فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى
الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك أن أعينك وتعطيني شيأ قال نعم فأعانه

فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فأخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احدهما فاذا هو بخاتم فى بطنها فأخذه وصره فى ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فأخرج الخاتم ولبسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبوه ان مات فلما مات حمل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ اباعمر والفارابى يروى ان داود عليه السلام وكانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على وردة فى العبادة فأغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما فى وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لها على به فأتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار فى هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الى قبل ذلك وأذنتنى لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التى أرسلت الى فقال يا داود أين أبوك ايشا واين أمك وأين أخوك وأين جارك اين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلى اليك وان النوبة تبلغك (قال الاستاذ رضى الله عنه) وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يزال المرء اخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجال فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بأنك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقد مضى فى قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس فى قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان

سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب فى صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه في أيام ملكه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده (فمنها) تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب أى أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشبة فحملتها حتى اذا استقلت بها أمر الرخاء فمرت به شهرا فى غدوته وشهرا فى روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لى ان رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان أما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلنا ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمر بعسكره الريح الرخاء تهوى به الي حيث أرادوا انها لتمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال

لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه والقته فى أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث اذهب الله همك كما أذهبت همى (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء الاجاءت الريح به اليك فاخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حى ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذى لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول

قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شىء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازى يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المزى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء (وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفره فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فاخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قنبرة باضت فى طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضى فى طريق سليمان الملك لو ركب الينا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء فلما مر سليمان فى موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندى للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدى فقالت الانثى عندى تمرة ادخرتها لولدى قال فاخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدى سليمان وهو على سريره فى مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التى على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سليمان من قولها وفرق قولها الجنوده

ثم قال ألا أنبئكم بخبر وهو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكي) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ماهذه الصولة وماهذا البطش أما علمت اني أمة من أنت عبده فغشي على سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخذتني ورميتني فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصة وادي النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد حولي من دونك قال فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا لي وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الي وأجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام أن ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة

خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من ناوأه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا و بين خروجه يا نبي الله قال قريب من الف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فاخبرني ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل خرمى فنادت لما رأت سليمان في موكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها فاتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم أني ظالم أم علمتم أني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع أني ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن و يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمي أبوك داود وقال لا قالت لأنه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لأنك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بابيك داود ثم قالت أتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية (أخبرني) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء في اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تاتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك باعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام

بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان
فى أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهوالها على سفاح في جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء
يانبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما
وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء
يانبي الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لاتقدرين على ذلك قالت بلى
فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظما ووجهها
وجه انسان ويداها يد انسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك فحملت فى الهواء
حتى أشرفت على الدنيا فابصرت كل دار ومافيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي فى
مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل
شاهق فى السماء فى جوف البحر وسط جزيرة وفى الجزيرة شجرة عالية لاينالها طائر
الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على الف غصن كل غصن كاعظم مايكون من شجر
الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا فى وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيئا وطيئا
وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تاتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها
من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولاتخبر أحدا بشانها كي يتم امرها وهي تغدو الى سليمان
وتروح اليه وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من
ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لايقوم ليلا ولانهارا وكان ابوه ملكا
عظيما فلما راى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وامرا
عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر
فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم
مارايت وهو اكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز مايحتاجون
اليه وهيأ السفن وجعل ياخذ من كل شيء بملكه واخذ من الوزراء والندماء والمشيرين
والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع
مايحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر فى البحر كذلك يتصيد
ويتلذذ بالفرح ولايعرف شيئا غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته
ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين
سنة فى منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح

الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق فى وسط
جزيرة فى البحر فى لون الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة
خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها فى عرض آذان الفيلة
تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لأصحابه انى أرى عجبا
أرى جبلا شاهقا فى وسط جزيرة لم أر مثله ولا أرى مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة
فيها كل حسن قد اعجبنى منظرها ثم أنه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التى فيها
الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا
الجبل الذى في وسطها هل فيها عمارة أو أثر آدمى فى تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من
السفينة هو ورفقته ودار وافى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمى قبله ثم انه صعد
الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم
تعرف ماهى لانها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله
عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذا حس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من
الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت فى أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت
منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل
الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقى متعجبا من عظم تلك الشجره ورفعها فى السماء وصار ينظر الى
أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل
الشجرة فوقعت عينها فى عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة
شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم أنسية قالت لا والله أنا من خيار
الانس فمن أنت فافهمها لغته فقالت لا أدرى ما تقول وما أنت الا أنى أرى وجهك كوجهى
وكلامك ككلامى وانى لا أعرف شيئا غير العنقاء وهى أمى التى ربتنى وحضنتنى وهى
تأتينى كل ليلة وتسمينى بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هى فى نوبتها فقال الغلام
وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئنى
وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لى أمى العنقاء من ملكه وانها
تخبرنى أنه أحسن الناس وجها وأتم خلقا منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل
أبى وسبى دولته وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى
الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذى لا انس

فيه ولا أحدوان مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقي أرأيت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك من يمنعك ان تقعي فى البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذي يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك ويحفظني مماذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحمك وساقني اليك لأكون لك الفا وصاحبا وأنيسا وانى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير إلى وأصير اليك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضنني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وماشأنك فاخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظرى مايكون من ردها عليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يابنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وانى لمنزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يابنية لا تخافى ولا تحزنى فانى أستأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكنى سأنحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج مافيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا فى جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أري خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلوا ختطفتيها وحملتيها الى فكانت معي فى وكري فانظر اليها وآنس بها كان أحب الى من كونك عندى نهارا وامساكك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه فى استئذانها اياه فى المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يابنية ان نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لا أريد أن تتخلفى عنه نهارا لمكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أري شيئا مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين فى البحر قالت فما الذى أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة القوها قالت فاحتمليها الى لاستأنس بها وأنظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام فى بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية ياأماه ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يابنية لوعلمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان

فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد
منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل
الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم لمجلس سليمان
عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت
اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشر واقبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر
والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليه وأمر الشياطين فأحضرت كذلك وكذلك
الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا فى أنفسهم نشهد
بالله أن نبى الله قد أهمه أمر عظيم فاول سهم قد خرج فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير
لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعى على زوجها وكان قد
جحدها ولدها فقالت يا نبى الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضى وأخرجت ولدى
جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبى الله انها لا تمتنع من الطير وهى تحوم البرارى
فلا أدرى هل هو منى أو من غيرى قال فامر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبه واحدا
فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه
لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور
سفدنى اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان
ما قولك فى القدر فقالت يا نبى الله لى من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها
سليمان فاين الشرط الذى كان بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين
الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فأتينى بها الساعة والخلق شهود لاعلم
صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فمرت العنقاء حتى
قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر
الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من
ساعتك قالت لها أى لعمرى ان لى شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بينى
وبينه فى أمرك وانى لارجو نصرتى اليوم فيك قالت لها كيف تحملينى قالت على ظهرى قالت
وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت فى
منقارى قالت فكيف أصبر فى منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد لى من احضارك عند
سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة فقالت لها أدخل فى جوف هذا

الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو فى منقارك فلا أرى شيئا ولا اسقط ولا أفزع من شيء فقالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يانبي الله هي الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضاءه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أؤمن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيا ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يانبي الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يانبي الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجها على قضائه ومشيئته قال فامر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فاخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها ياقدرية فهى تخضع لها وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود الف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها

مائة فرس فما فى أيدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسين فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بامره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروي) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال المليك له قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش انى قد أبحت لهم بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بارض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم لنصرة دين النبى المطهر
لهم فى معالى الدين فضل ورأفة وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

رجعنا الى القصة وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهى رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لأوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت الريح إلهى وسيدى ومولاى اني مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويكبرونى فتسبحنى اذا سبحوا وتهللنى اذا هللوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كاعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شىء قال له اختر من خلقى ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا مابقوا بركتى عليك وعليهم ماخلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له مايشاء كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فمما عملت له الشياطين بامره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك وألقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون فى البحار ويستخرجون أنواع اللآلىء والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك

(حديث القبة) قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم أمواج البحر

فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه
ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال
اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة
فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر
البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا نبي الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له
سليمان ما الذي رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أمواجا وحيتانا ناغيرا ني رأيت ملكا عظيما
فقال لي أين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع
اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فعاب عليهم
مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره
بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولما عما
كان قصد قال فبينما هو على شاطىء البحر اذ رأي قبة من زجاج تضربها الامواج في لجة
البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت
القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب
أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له
سليمان يافتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان
منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يانبي الله كانت لي والدة وكنت من
أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيئا من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها
الوفاة سألتها ان تدعو لي فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدي بي فارزقه
العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى
ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها
وتزاخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدي يا نبي الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك
ومشربك فقال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه
الى فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت
في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت
الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت أنه الليل
فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال لا يا نبي الله ان تشأ تأذن لي أن أعود الى قبتي فأذن

لله فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحيضان كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشر جزر

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي لخيله ودوابه (ومما) عملوا له كرسي ملكه

(صفة كرسي سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين اتخاذ كرسي يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منها عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان

فاذا استوى باعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بنى اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهى ألف كرسى على يمينه وتجيئ عظماء الجن فيجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى الف كرسى حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدم الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسى بجميع مافيه وماحوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ماالذى كان يدير ذلك الكرسى قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسى مما عمله له صخرا الجنى قالوا فاذا دار الكرسى بسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض باذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهما من ذلك رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق فهذا شأن كرسى سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفى سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسى وحمله الى انطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا باحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منه حتى مات وبقى الكرسى بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا استمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى اين هو والله أعلم

(ومنها) بيت المقدس (صفية بنيانه وبدء أمره)

قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التى ببيت المقدس يهبط من السماء ثم يتفرق فى الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلي أهل الجنة الى يوم القيامة وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ماذكره أهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك فى نسل ابراهيم حتى

جعلهم فى الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بنى اسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه ياداود وقد علمت انى وعدت أباك ابراهيم يوم امرأته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأن أبارك له فى ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانى قد أقسمت لأبتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا الله أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس من قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فأهلك منهم فى يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا فى اليوم الثانى خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الخل الحامض وبنوا اسرائيل يضرسون يعنى أذنبت وبنوا اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ فنى أنزله واعف عن بنى اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا فى سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبنى اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فسجدوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تتخذوا فى هذا الصعيد الذى رحمكم الله فيه مسجدا لا يزل فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود فى بنائه فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم فى بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم أن تحجبونى عن حقى فقالوا ياهذا ما من أحد من بنى اسرائيل الا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا

قضايقنافيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا الله أما ترضى وتطيب نفسك
والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى
داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه منه يا نبي الله تعالى قال خذوه بمائة شاة
فقال الرجل زدني يا نبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يا نبي الله
فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطكه قال
تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل
قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا امشر فاثم املأه ذهبا وان
شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب المخلص
ثم قال لداود يا نبي الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شيء وهبت لي ولكني كنت
اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من
ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة
وعجزوا فأوحي الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببانيه
ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه
ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى أن توفي داود عليه السلام
واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس
والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين
في تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام
والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا
فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون
الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر
وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر
وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشيء من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع
وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا
يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم
هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر
تجاربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا

وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمة لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو فى بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه فقالوا يا نبي الله انه كان يضحك فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان مارضيت بتمردك على وترك المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يا نبي الله انى لست أسخر منهم غير أن ضحكي كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى فى طريقى فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه ان يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهى لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل فى بعض المدن وقد كان به داء فما اقبل فأكل البصل فبرأ من دائه فصار يطبب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره بأكل البصل وانه لا ضر شيء حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت فى بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك فى البحار شيأ ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يا نبي الله اعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا اعرف معدنه الذي فيه وليس فى الطير شيء احيل ولا اهدى من العقاب فأمر بفراخه ان تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ

العقاب ان تضم فى صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن افراخه فمر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى اتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك فى ادوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضىء فى الليل كالقمر فى ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وكل شىء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط أعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمه أكثر منه فذبح فيه من الجزور ألف جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض وإذا دخله الفاجر استبان خياله فى ذلك الحائط أسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب فى زاوية من زوايا المسجد عصا أبنوس فكان من مسها من أولاد الانبياء لم يضره منها شىء ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك منا منك علىّ وجعلتنى خليفتك على أرضك وأكرمتنى به من قبل أن أكون شيأ فلك الحمد اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا أن لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف إلا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجذب إلا أخصبته وأغنيته واذا أجبت دعوتى وأعطيتنى طلبتى فاجعل علامته ان تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بنى اسرائيل فخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان

بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله اعلم

* (باب فى قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به) *

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين الا ية قالت العلماء بأخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الي ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم اقام به ماشاء الله ان يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت فى زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأي أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يري الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم أن الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين إنى وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد فى نفسه أن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان ابن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثناعشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل

والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس و نظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه و يدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لا نتفنه ولاشدن رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي أوليأتيني بسلطان مبين أي حجة واضحة. (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك على الا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجبذها وقال أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (أخبرني الحسين) ابن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة

فقال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت بما لم تحط به أى علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هى بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء ابن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذى يسمى البشرخ ويلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوى بلقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت فى الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم أن هذا الرجل الذى ملكوه أساء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك وقال ما منعنى أن أبتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا الا نراها تفعل هذا فقال انما هى التي ابتدأتنى وانى أحب ان تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم انى أحببت الولد ولم احبه منذ كنت ارغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت فى ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت راسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا وراسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والشنار ما قتلته ولكن رايته قد عم فساده فأخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتبت امرها فى المملكة وروى ابن ميمونة باسناده عن الحسن ابن على عن ابى بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا

امرهم امراة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

(صفة القصر الذى بنته بلقيس)

قال الشعبي روي أن بلقيس لما ملكت امرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بالواح الرخام والحم بعضها الى بعض بالرصاص حتي صارت كانها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة فى الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة وجعلت فيه أى فى باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجا من الرخام الابيض والأخضر والأحمر وفى جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم (صفة عرشها) كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا فى الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أى مما تحتاج اليه فى الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أى سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائى الماضون قالوا كانوا يعبدون إله السماء قالت وأين هو قالوا هو فى السماء وعلمه فى الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئا أشد من نور الشمس فهي أولى ما ينبغى لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم أن الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التى لم تطو ببطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ماقص الله تعالى فى كتابه شيئا وكان أبلغ الناس فى كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما

كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع ابن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم أنها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة الف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا أحزنها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى القي الى كتاب كريم أي شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري وأشيروا على فيما عرض لي ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدني أبي في معناه

إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك في أكنافهم ظل

ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة حاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامور وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى واختبره بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم أنها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجوارى والبست الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا فى كيفيتها وعددها (أخبرني) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فى كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (قال وهب بن منبه) وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقا من ذهب وفى آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها ومن الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك والعنبر والعود الالنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجذع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز

بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بمـا فى الحقة قبل أن تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يـكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم أنها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولك منظره فأنا أعز منه وان رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبى مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فامر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم أن يبسطوا له من موضعه الذي هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر فقالوا يا نبى الله انا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فأتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفى بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم ان يتركوا في طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا أن يتهموهم بذلك فطرحوا امامعهم فى ذلك المـكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليـكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ماوراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملـكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فأتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فى [illegible] فقال ان فيها درة ثمينة بلا

ثقب وخرزة منقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة فى فيها ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزه يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة خيطا في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعلها فى اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال اتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة فى الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى منها وأعطانى مالم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمنى بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل فى سبع أبيات بعضها داخل بعض فى آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها اليؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدي بشيء حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس

يارسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله امر سليمان باحضار العرش فقال اكثرهم لان سليمان علم انها اذا اسلمت حرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل ان تراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي من مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كوذى وقال شعيب انه كوذان واني عليه لقوي أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطي (أخبرنا) ابن ميمونه باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروي) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الاعظم الذي دعا به آصف بن برخيا ياحي ياقيوم وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهل بن حرب قال زعم ابن أبي برة ان اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر

إنما هو سليمان آتاه الله علماً وفقهاً قال له عالم من بني اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده محمولاً اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدي الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشي اليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا أن يزهدوه فيها فأساؤا الثناء عليها وقالوا ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها و ينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك فقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها اي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين اي منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان جئنا اليك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما أقبلت بلقيس تريد أمر الشياطين فبنوا له صرحا اي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما امر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك

من العبودية والسخرة ابدافأرادوان يزهدوه فيهافقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان امها كانت جنية فارادسليمان ان يعلم حقيقة ذلك و ينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعايبها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذاهي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له ياسليمان انى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى قالت أسألك عن ماء روى ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك ائتمر الخيل أن تجرى ثم أملأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت أخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له ياسليمان يقول لك ربك ماشأنك قال ياجبريل ربى أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عما ذا سألتيني قالت عن ماء روى ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أى شيء سألتيني أيضا قالت ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت ربي انى ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما لمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فستنكحها سليمان عليه السلام

(أخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ النبي ﷺ قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبنيون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبقليس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم أنه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الا كبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وابنيين وبنين صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أُخبِرَ أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده في

الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فاحبها احباشديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ فقالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزننى ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابني ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين يصورون الى صورته فى داري التى أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى ويسليني عن بعض ماأجد فى نفسي فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سنى ورق عظمي ونفد عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحببت ان أقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض مايجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر مافضلهم الله به حتى انتهي الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك من كل مايكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتنى أثنيت على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبري فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له ان غير الله يعبد فى دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال نعم فى دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ماقلت ماقلت الا عن شيء بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أنه أمر بثياب الطهر فأتي بها وهي

ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جاس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه ويبكي ويدعوا ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول رب ماكان ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقروا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر كان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيئا فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتي جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فاتي الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا له عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث ذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا

زال الشيطان عن مجلسه ثم مر فى البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التى ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذى دخل عليه لما أحدث فى داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتونى بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف فى البحر فهذا حديث وهب بن منبه (وقال السدى) فى سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتى حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضى له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته فقال لها هات الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد انكرناه هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان ابن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطىء البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا

يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا
ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتى به
فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقي في
البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن
سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه
سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم
لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك
وأهل بيوتك بسيرك الى أن يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه
وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه
جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك
سليمان وعاله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الي
الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم
في يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلي باسناده عن سعيد بن
المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن يا سليمان
احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر
حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال في آخره قال علي كرم الله وجهه ذكرت ذلك
للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء
أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح
وهذا القول أصح الاقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب الي التقوي (وقال) بعض
المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج
امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك
صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان اكرهتني
على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد
صنما لها من ياقوتة اربعين صباحا في خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان
بزوال ملكه اربعين يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت

الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب ان تأخذ ابنه وامر الريح فحملته وغذا ابنه فى السحاب فامن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب والله تعالى اعلم

(باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل التاريخ لبث سليمان فى ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغيرذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتزى لهم ابليس وهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا اما الناطاقة مما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيئا قالوا انعم قال فأنتم فى راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا انعم قال فأنتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا الاطاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا انعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدء أمره فى ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذاوكذا فيقول لاى شىء أنت فتقول لكذاوكذا فيأمربها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها فى مكان كذو كذاوان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شىء نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم غم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون

الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى قال فاتاه فقال ياسليمان قد أمرت بك وقد بقى لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفى رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتانى من الملك ما ترون وما مر على يوم فى ملكى صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفو لى الى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وأمر باغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك ياسليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذنى وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتنى حين دخلت قصرى بغير اذنى فقال أنا الذى لا يحجبنى حاجب ولا يدفعنى البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك فى دخوله فقال له ربى قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لى ولا أسمع فيه ما يغمنى فقال ياسليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شىء وذلك يوم لم يخلق فى الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذى بين يديه واخرج من الباب الذى خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان فى المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم

مات فوضعوا الارضة على العصافا كلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذسنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفى رواية ابن مسعود) فمكثوا يدا نون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس أن الجن كانوا يكذبون فى ادعائهم علم الغيب فلوانهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا فى العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لوكنت تأ كلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولوكنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأ كل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاث وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بنى اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند فى جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها فى بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى القت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بنى اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصى وعبد بعض ملوك بنى اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس فى قصة بختنصر وخبر شعيا وارمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعيا عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بنى اسرائيل من احداثهم وماهم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول مانزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتبا وانما يأمرهم أن يأمروهم باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ماتركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعيا بن أمضيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعيا هو الذى بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعيا معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة الف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعيا فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة الف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقدها بهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يأت وحى فبينما هم كذلك اذ أوحي الله تعالى الى شعيا عليه السلام أن ائت ملك بنى اسرائيل فامره أن يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فاتي شعيا صديقة فقال ان ربك قد أوحي الى ان آمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بنيتي وفعلى وحسن قضائى فى بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلانيتي لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعيا وأمره ان يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه

وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعيا اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعيا أن قل للملك صديقة أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيا قل له اني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بني اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ومن معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير جيشه فقذف في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاوحى الله الى شعيا أن قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا اجمع سنجاريب الناس

فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعيا فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعيا عليه السلام قم فى قومك يوح على لسانك فلما قام النبي أطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء اسمعى ويا أرض انصتى فان الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى ان يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى والغراس هم وان الخرنوب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالتقوى والكف عن

ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد أن يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا الفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائتهما وهم فى أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ان دعونا بمثل حنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذات يدى قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى أم يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شىء انما يتراحم المتراحمون بفضلى أم يقولون البخل يعترينى أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التى نورت فى قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغى لى أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت أذاهم وكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف فيما يؤلف السحرة

والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا اطلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسر وهم يعلمون اني أعلم السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسي وجعلت له أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فيخبر وك متى أنفذه وفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والبرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من انشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزي بالفحش ولا قوال بالخنا ر أسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة واهواء مشتتة وامما متفرقة واجعل أمته خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضوان الله الهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعيا من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم

اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو فى وسطها والله اعلم

(قصة ارمياء عليه السلام)

فاستخلف الله على بنى اسرائيل بعد قتلهم شعيا رجلا منهم يقال له ناشئة بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخير من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن خلفياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تزهر خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بنى اسرائيل ياارمياء من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعي نبأتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال ارمياء انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انا الهمك فقام ارمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم فى آخرها ان الله قال فانى احلف بعزتى وجلالى ان لم ينتهوا لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارمياء عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع ارمياء وبكاءه ناداه ياارمياء أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل مالا اسربه فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا اهلك احدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحى ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا إلى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء انت زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله هلاكهم بعث الله الى ارمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يانبى الله انى استفتيك فى اهل رحمى وصلت ارحامهم ولم ازل اليهم محسنا

ولا يزيد اكرامي اياهم الا استخفافابي فافتني فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصلهم.
وابشر بخير فانصرف الملك فمكث الا اياما ثم اقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه.
فقال له ارمياء اوماطهرت اخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما اعلم
كرامة يأتيها احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل قال ارمياء عليه السلام.
ارجع الى اهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك.
فمكث اياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم.
بنوا اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله اين ماوعدك الله به قال اني بربي.
لواثق ثم أقبل الملك على ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر
ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له ارمياء.
عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يانبي الله كل
شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رأيتهم في عمل
لايرضى الله تعالى فقال ارمياء عليه السلام على أي عمل رأيتهم قال على
عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك واني أسألك بالله الذي
بعثك بالحق نبيا الادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارمياء ياملك السموات.
والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لاترضاه فاهلكهم
قال فلما خرجت الكلمة من فم ارمياء تماما حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس.
فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وبكى.
وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال ياملك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني
فنودي انه لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام انها
فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فصار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر.
وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت
المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل
وأمرهم أن يجمعوا ماكان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار
منهم سبعين الف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه.
أيها الملك لك غنائمها وأقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل.
ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا.

وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب باوانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الواقعة الاولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده (وكان بدء أمر بختنصر) على ماروى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه واطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فارى فى المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعتدله وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برىء فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلى فى الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى مايبكيك فقال ابكى لانك فعلت معى مافعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزانى شىء يسير قال وماهو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطينى ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزىء به ولا يمنعه أن يعطيه ماسأله الا انه يرى انه يستهزىء به قال فبكى الاسرائيلى وقال قد علمت مايمنعك ان تعطينى ماسألتك الا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضربانه فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة الى الشام قال ماضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا افلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر فى مطبخه لم يخرج الا ليأكل فى مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر اهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك فى عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شىء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس اهل الشام ويسألهم ويقول لهم مامنعكم ان تغزوا

بابل فلو غزوها الملتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقد مجالس
أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم عارأوا وكان بختنصر
رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان
وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فأخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أهل الارض
كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء واني لم أدع مجلسا بالشام الا
جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب
الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال
بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام
فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ماقدروا عليه فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فمن
ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه
أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ماشاء الله تعالى ولم يخربوا
ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم
فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي ومامعه فقسمه بين الناس فقالوا مارأينا
أحدا أحق بالملك منه في هذه القصة الاولى فملكوه على أنفسهم (وقال السدي) باسناده
ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على
يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل
يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب
فالقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا
فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم
الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني احب ان تكتب
لي امانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر اتسخر مني قال لا اسخر منك ولكن
ماعليك ان تعجل عندي لك يدا فكلمته امه فقالت ماعليك ان كان والا لم ينقصك شيأ
فكتب له امانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك اجعل لي علامة
فعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له أمانا واعطاه اياه ثم ان ملك
بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا
يقطع أمرا دونه وان الملك هوي أن يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدي وقيل كانت بنت

أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه و يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى شيأ لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذي تسأله أن تؤتى برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهي تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فامر بالتراب فالقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فألقي عليه أيضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد ان يبعث لهم جيشا و يؤمر عليهم رجلا فاتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى ارسلت تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلها فابعثني فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع اصحابه ارادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت اين امير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع بجندك قبل ان تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامي وجاع اصحابي فلست استطيع المقام فوق الذى كان مني قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطيني ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم فقالت اذا أصبحت فاقسم جندك اربعة اقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا ايديكم الى السماء ونادوا يا ربنا ادلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم

يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل سبعين الفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى أسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه السلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أعجبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سيمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى العلم الذى آتانى و يهلكنى فاعجب به وقال نعم مافعلت وقد احسنت حيث وفيت بعهده واجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فأخبرنى فأخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضه وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فأس وسمع مناديا ينادى اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فأنت الرأس الذهب وأنت أفضل الملوك وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك واما ما رأيت من الفخذ الذي من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان اشد الملوك واما الفخار فآخر ملكهم يكون

دون الحديد واما الحجر الذي رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو املكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التي رأيت والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله أسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرناه سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما ما رأيت من ان أصلها قائم فان ملكك قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبة قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه واخبره بها أكرمه وأكرم اصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره في أموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا اجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتك. أمر بأخدود فخد لهم والقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم قال انطلقوا لنأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس ايضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضرب به بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر امرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني ان اقتل كل من يخرج اولا ثم ضربه فقتله *(وأما)* محمد بن

اسحق فانه قال في هلاك بختنصر غير ماقال السدي وذلك انه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذي قتلت من هم وماهذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبروني ماالذي يطلع بي الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض ومافيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فشكوا الي الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهو انه بعوضة فدخلت في منخرة ثم ساخت فيه حتى عضت بام دماغه فماكان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا ماالذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بام دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجا الله تعالي من كان بقي في يديه من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايليا والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتي كانوا على أحسن ماكانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصه فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوم فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التي حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ماهي فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأه ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أي وزن عملك في الميزان نخف ووعد فأنجز أي وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أي جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلا يلبث الاقليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بارض بابل الي أن مات بالسوس والله أعلم

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الاشعرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم مافيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ مافيها حتى افضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعرى لاهل السوس ما فى هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شىء من حاجتك فقال لا بدلى ان اعلم مافيها فافتحوا بابها حتى أنظر مافيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل ابو موسى الخزانة فنظر فاذاهو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفه قال فتعجب ابو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا انفه فاذا هو يزيد على شبر فقال ابو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان اهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب اهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم ان يدفعوه الينا حتي نستسقى به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى ان لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام أبو موسي الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب فى كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على بن أبى طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلى عليه و يدفنه فى موضع لا يقدر عليه اهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ ابو موسى كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم امر بدانيال فكفن بأكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم امر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه واجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام فى نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الاستاذ رضى الله عنه) فهذا الذى ذكرت جميع امر بختنصر الذي جاء

في التفسير الا ان رواية من يروي ان بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيي غلط عند اهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا وفي عهد ارمياء عليه السلام وهي الوقعة الأولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد ارمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الي مولد يحيي بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمرانه في عهد كرن بن حرسو بن شير بن اصهير بيابل من قبل بهمن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الي ظهور الاسكندر على بيت المقدس وحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح في ذلك ماذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعدما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيي وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيي بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ما كامن ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنوزراذان صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بالهي لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري الا اني لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنوزراذان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقالوا اهذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال ما صدقتموني الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا لقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحي فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بني

اسرائيل أصدقونى قبل أن أفنيكم واصبروا على أمر ربكم فلقد طالما ملكتم فى الارض يفعلون فيها ماشئتم أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أننا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال بنورازادان ماكان اسمه قالوا يحيى بن ذكريا قال الآن صدقتمونى بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنورازادان انهم صدقوه خرساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقى من بنى اسرائيل ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من اجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا ابقى أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبنى اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن اعصيه فقالوا افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا ثم امر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى المعسكر وامر بنقل الذين كانوا اقتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا ان مافى الخندق من بنى اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتنى دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افنى بنى اسرائيل اوكاد ان يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى انزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم بلطوس بن اسنابوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب

رضى الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم

* (باب في ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها) *

قال الله تعالى أوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن خميد وعبيد بن عمير هو ارمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون ابن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا في القرية التى مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض المقدسة وقال السدى هى سلماباد وقال الكلبي هي ديرسايراباذ وقيل دير هرقل وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روي محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه أن بختنصر لما وطىء الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم طار ارمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارمياء على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط ارمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحي ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضهما حتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل ثم ردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك أن تكتسى لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك أن تحيى فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله ارمياء فهو الذى يوجد فى الفلوات (أخبرنى) ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس فى الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف

وحمارا رمياء الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه *وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما فقد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فاقدمه مع سبايا بنى اسرائيل إلى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شاطىء دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها لم يشك فى البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك إن الله تعالى أماته ضحى واحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فرأي بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الي طعامك يعنى التين وشرابك يعنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الي حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الي الرسن فى عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فانكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة له فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير مارأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فانى أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فانى أنا عزير كان الله قد أماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت فان عزيرا كان رجلا

مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم اخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزيز فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم أنها انطلقت الى محلة بنى إسرائيل وهم فى أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا له ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هى بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام (باب فى ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد مارجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير بن الله روى عطية العوفى عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ماشاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ماشاء الله أن يمكثوا بعد مانسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ماشاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم أن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ماأوتى عزير هذا الا أنه ابن الله (قال السدى) وابن عباس فى رواية عمار انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤوس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكى ويقول يارب تركت بنى اسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند

قبرمن تلك القبور وهي تبكي وتقول يامطعماه يامكسياه فقال لها عزير ياهذه اتقى الله واصبري واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا قالت ياعزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له ياعزير انى لست امرأة ولكني الدنيا أما أنه سينبع لك فى مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئا فما أعطاك فخذه منه فلما أصبح نبعت العين فى مصلاه و نبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فألقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له أدخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أملك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد فى علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يابنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا ياعزير ما كنت كذابا فربط على كل أصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فأحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله له هذا الا لأنه ابنه وقال الكلبى ان بختنصر لما ظهر على بنى اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزير ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم أن رجلا قال ان أبى حدثنى عن جدى أن التوراة جعلت فى خابية دفنت فى كرم فلان فى موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

(مجلس فى ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور)

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله

حصيدا خامدين قال هشام بن محمد الكلبي وغيره بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزبابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفيشل كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزوا العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فأقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا أني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تتقم به منهم فعليك بمعد بن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتاعشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطىء الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يالثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون أي يهربون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم فمازالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو

العرب وابتنوا لأنفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بني اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الانبياء معه

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا أعصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فارجو أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها

ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفوا الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يالقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

(باب فى ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة فى القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآية (أخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينورى عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشىء من ثمره فجاؤا وليس معهم شىء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقنى واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلنقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ماروى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال أخرج كرسيك وأباريقك ثم أجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أى شىء خاطرتمونى قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادفاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها موادأخبرنا ابن فتحويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتنى بأطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شىء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتنى بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتيني باطيب مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب وأمرتك أن تأتينى باخبثها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب فقال له انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال

صدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنيني (أخبرنا) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه في الطريق فقال له مافعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري قال فما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال مافعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتي قال مافعل أخي قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس أشرف قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما اقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النافش (وروى) المحاربي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوي الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو اوما أظنك ناجيا يابني كيف لا يخاف الناس مايوعدون وهم في كل يوم ينقصون يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله اعظم من الصوم يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء اوترائي به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يابني اختر المجالس على عينك فان رايت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن مستأهلا يعلموك ولعل الله ان يظلهم برحمته فتعمك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يظلهم بالعقوبة فتعمك معهم يابني لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يابني كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يابني كن امينا تكن غنيا ولا ترالناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يابني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي ويزري بالعقل يابني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يابني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا اقربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر

فى أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزودمن الادوية ماتنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا فى معصية الله يابنى اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابنى لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه يابنى لا تحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يابنى اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعندذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير فى العيش اذا كان هكذا يابنى اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد فى أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظى عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يابنى لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما اقسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك مما فى أيدى الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم مما فى أيدى الناس يابنى ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يابنى اجعل معروفك في أهله ولا تضعه فى غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه فى الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يابنى الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يابنى للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ثم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم .

(مجلس فى قصة بلوقيا)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله الجزرقى باسناده عن عبدالله بن سلام الاسرائيلى قال كان في بنى اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان إماما لبنى اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته فى التوراة فخبأه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بنى اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقى بلوقيا والامامة والقضاء فى يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد .

مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك ففكها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أمة من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال ياقوم لا ضير انما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من ابوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كامثال الجزوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا نفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبريني أيتها الحية من أنت قالت أنا موكلة بالحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فأتاه فسلم

عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك و بينه قرون وسنون ثم قال عفان
الخير يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال
معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى ان يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل فى دينه
فمن حرص بلوقيا على الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ
تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة فى أحدهما خمر وفى الآخر لبن ثم سارا جميعا
حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت
التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا
فاغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذاها ومرا جميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما
باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني و يقطعني و يدقني
و يعصر مائي ودهني و يطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق
فقال عفان اياك طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج دهنها وجعله
فى كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهى تقول يابنى آدم ما أجرأكم على
ربكم ولن تصلوا الى ما تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان و بلوقيا الى البحر فطليا
أقدامهما ثم دخلا فى اليم ومشيا فى الماء كأنما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول
ثم الثاني فاذا هما بجبل فى وسط البحر ليس بعال ولا متدان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض
وفيه كهف وفى الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع
يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه
بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه فى خاتمه وكان خاتمه من ذهب
وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر فى كل سطر اسم الله الاعظم وكان
عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود
نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا
أليس قد سأل ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى فاعطاه اياه على ما سأل
ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا
اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان
من أصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله
تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا

عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت لها الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فما مرت النفخة بشىء الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد ﷺ ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فصار ومضى ستة أبحر ووقع فى السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطىء يا ابن الخاطىء لا تأخذ منى شيأ فبقى متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقال ما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمد ﷺ وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وتمليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة

خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما أن ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية لحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتنا كحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكننى أجلل فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاها هناك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض لم يح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قالوا فحلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى يوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال فى يدى اليمنى ضوء النهار وفى يدى اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدى لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص

نقصت فلذلك الليل فى الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفى الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى فى السماء ويده اليسرى فى الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك ممن أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال مخاييل قال فما بالى أري يمينك فى السماء وشمالك فى الماء قال أحبس الريح بيمينى والماء بشمالى ولو رفعت شمالى عن الماء لزخرت البحار كلها فى ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ويدى اليمنى فى الهواء وأحبس الريح عن ولد آدم لان فى السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنفست من فى السماء ومن فى الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل فى قلوب بنى آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهم واجعلنى من اهل شفاعة سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلنى من اهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلنى من أهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة واما الذى رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة ومضى بلوقيا حتي انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من انت قال أنا بلوقيا وانا من بنى سرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت فى طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست أري أثره ولا ادرى باى بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمى حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا امين الله على جبل قاف وفى يده وترمرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر فى كفه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده أمرنى ان أمد الوتر واعقده واوثق عروق الارض فتضيق

الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم أمرني ان ارخي الوتر فأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله ان يخوف قوما أمرني أن احرك عروق تلك الارض فمن اجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ماوراء قاف قال وراء قاف اربعين دنيا غير الدنيا التى جئت منها فى كل دنيا أربعمائة الف باب فى كل باب اربعمائة الف ضعف مثل الدنيا التى جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب وراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرنى أيها الملك على أى شىء هـذا الجبل موضوع قال بين قرنى ثور واسمه يهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هى قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه فى السماء وأسفله فى الماء عليـه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملـكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق ممن أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسـول الله صلى الله عليه وسلم هـذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمد وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا الى الباب حتى اجوز فقالا لا نحسن فتحه وان لله ملكا فى السماء اسمه جبريل عسى ان يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيـا حتى انتهي الى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفى البحر المالح جبلا من ذهب وفى البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك الصور فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من انت فأخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيـا من انتم قالوا نحن امناء الله على هذين البحرين يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله فى الارض فكل ذهب يظهر فى الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما فى

الدنيا من ماء عذب او ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة فى الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فأقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان اني جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذى خلفى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذى خلفى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح فى آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت علي فوقف وقال لبلوقيا لماذا تستحلفنى قال خشيت أن تفوتني مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا يكون فى جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى أنف إحداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما إسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فما تاهنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت

الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا
من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وأن الله تعالى قد بعثنى الى آدم بهذه المائدة لما
أهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الأكل وأنا ههنا من لدن ذلك
الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها
الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال
بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو
العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر واذا به
قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا
وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتى وأريد الرجوع الى أمى فقال الخضر بينك و بين
أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها فى مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك
و بينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها فى مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام
فأنا أردك اليها فى ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما
فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بى اليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء
والارض فوضعك قدامى ثم أن بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار
فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب
فى البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا

(باب فى نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس
ابن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق
ابن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا
ابن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يتاسف كان تزوج ام الاسكندر
وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها
رائحة كريهة فأمر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على
شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن

عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها البقية تنتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له فى أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التى غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين واختلفوا فى تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى فى المنام كانه أخذ بقرنى الشمس وكان تاويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمي قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من آهل بيت شرف من أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

(باب فى ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه)

قال الله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيليش اليونانى أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبوهما لانه جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التى كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر أنى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزى سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبي وأنه ينبغي لك أن تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصي والا بعثت اليك من يأتى بك فى وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذى بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك أنى قد فهمت

ما كتبت قد نظرت ماذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وانى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظري الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الي دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل أن أحدهما كان صنيعه فطعناه فأردياه عن مركبه وأراد بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وأن الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا اسيرا ولا يقتل فأخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وأن الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال له سلنى عما بدالك فأسعفك به فقال له دارا إن لى اليك حاجتين إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكابى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فأجابه الي الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

(باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا

ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه أنه أخذ بقرني الشمس ورأى فى منامه انه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله انه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم بن عجوز من عجائز هم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندروس ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه ياذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وامتان بينهما طول الارض وثلاث امم فى وسط الارض وهم الانس والجن وياجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وامة اخرى بحيالها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس واما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتنى الى امر عظيم لا يقدر عليه الا انت فاخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة اكابرهم وباى جمع وحيلة اكاثرهم وبأى صبر اقاسيهم وباى لسان اناطقهم وكيف لي بان افقه لغاتهم وباى سمع اسمع اقوالهم وباى بصر انقدهم وباى حجة اخاصمهم وباى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة ادبر امرهم وبأى قسط اعدل بينهم وبأى حلم اصابرهم وباى معرفة افصل بينهم وباى علم اتقن امورهم وباى يد اسطو عليهم وباى رجل اطؤهم وباى طاقة احصيهم وباى جند اقاتلهم وباى رفق أؤلفهم وليس عندي يا الهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء وأفتح لك بصرك فتنقد كل شيء وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شيء وأشد لك عضدك فلا يهولك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء وأشد لك

وطأك فتهلك كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم امرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل وكيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين الفا فجعلهم اربعة اجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل الف الف واربعمائة الف منهم من جنده ثمانمائة الف ومن جند دارا ستمائة الف ومن المساكين اربعين الفا ثم انطلق يؤم الامة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اى ذات حما ومن قرأ حامية بالف من غير همز فمعناه حارة (اخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال اقرأنيها ابى بن كعب كما اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال بن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فأطلت الجدال معهما فارسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له اين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب قال اما العربية فانتم اعلم بها منى واما الشمس فانى اجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين وانشدك ما تزداد به تبصرا قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما	ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى	اسباب امر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها	فى عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى ووجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خافوا تماحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا فى دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التى فى قطر الارض اليمين التى يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطيء اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيلحمها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهي الى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتي أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتي اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعي البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا ما هذه العظام

فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فما توا ههنا قال فذهبوا هاربين فى الارض وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فاخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لى ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه ويلتحف الاخري وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج والله أعلم

(باب فى صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء باخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم فى أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التى فى وسط الارض من الجن والانس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت أطلعت على ماينمو من نمائهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أى جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى أي قوانى عليه خير من خراجكم فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتونى زبر الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتونى النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم

على معادنهما قالوا فبأى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له السامور وهو أشد ما خلق الله فى الارض بياضا وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم اوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منهما زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التى هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ فى عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فارسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كانه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أى يعلوه وما استطاعوا له نقبا قال قتادة ذكر لنا ان رجلا قال يا نبى الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته ويقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى فى المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين الف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتى بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الاز الى طالجند فى بلاد شاه ملك الخزر فاقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة الذكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ماهى فقالوا امات ههنا قوم ثم ساروا فى مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس

ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أوشاب وزعموا انهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع فى عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب فى النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد فى طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها الى بعض منظومة كل واحدة فى صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما فى دورها على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار والحلقة التى فى السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع فى طول مائة ذراع سوى ما فى العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ لانها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع فى مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب فى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر وسألنا هل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحى خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله

ابن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم و وصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سرمن رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

(باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة)

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذوالقرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه روفائيل يأتيه ويزوره فبينماهما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذوالقرنين يا روفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذاالقرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما ابدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربي حق عبادته فقال روفائيل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال روفائيل فان لله عينا في الارض تسمى عين الحياة فامن الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذوالقرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أن نتحدث في السماء أن لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم اخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء اذ الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذوالقرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى ان بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن ينفتح عليك أمر تكرهه و يكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد

ولم يسخط الله علينا الا تبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا فى الارض ومن عليها فقال ذوالقرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أى الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأى الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فأرسل ذوالقرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى ابكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى ألفين وبقى ذو القرنين فى أربعة آلاف رجل وقال ذوالقرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتى عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذوالقرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه فى الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فصار الخضر بين يدى ذى القرنين يرحل الخضر ويحط ذوالقرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر ان العين فى الوادى والقى فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر إلى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادى فسلكوا تلك الظلمة فى أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذاهم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر اسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين فقال من هذا قال أنا ذوالقرنين فقال الطائر ياذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت الى ثم قال ياذا القرنين حدثنى فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال ياذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملا الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال

الطائر لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان. ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا اسطح ممدود عليه. صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال انا ذي القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت. واني منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ في الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيئا من بين يديه كانه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت. فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله له وما أورده عليه وما قاله صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبروني ماهذا الحجر وما أمره. فقالوا أيها الملك اخبرنا ما قال لك صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبروني ماهذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك اخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين أنه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل. فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه. فاخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر. فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وأنه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت. فاخبرني ماهذا الحجر فقال الخضر عليه السلام أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب

الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فاعطاك منها مالم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها مالم يوطىء لاحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرهها حتى بلغت من سلطان الله مالم يطأ انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملا جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر فى ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان فى وسط الظلمة وطىء الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ماهذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئا ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ماترك منه شيئا حتى كان يخرجه إلى الناس لانه كان راغبا فى الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها ثم أنه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) أنه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان هبل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة فى حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى ان خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

(مجلس فى قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله وبرحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى

وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يوحيا بن أدن بن مسلم بن صدوق بن يحسار بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناحور بن سدوم بن تهفاساطين بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

(باب فى ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها)

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك مافى بطنى محررا الآيات قال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن آمور بن ميشا بن حزقيل بن احريف بن يؤام بن عزاريا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن أبيا ابن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة فى ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران ابن ماثان كان متزوجين بأختين احداهما عند زكريا بن يوحيا وهى ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينماهى فى ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت مافى بطنها فلم تعلم ماهو فقالت رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبساعليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل منى انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذر فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد امن بنى اسرائيل وعلمائهم الا من فى نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم مافى بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان مافى بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم من ذلك فهلك عمران

وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى فى خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العبادة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن فى وقتها (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وانى أعيذها أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمى يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شىء قال وذكروا لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بنى آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أى فتقبل الله النذيرة أى مريم من حنة وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى المدة اليسيرة كما ينبت المولود فى المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها ربها فى غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون فى بيت المقدس كما يلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار وقال السدى هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم أى سهامهم وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت فى الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدى بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه فى طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم

زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار و نبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بامرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت و بلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة فى المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله انى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة أنماه الله تعالى وكسره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب فى بيت أحد منهن شيئا فاتى فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنية هل عندك شىء آكل فانى جائع فقالت لا والله بابى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته فى جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابى أنت وأمى يا رسول الله قد أتانا الله بشىء فخبأته لك قال فهلمى به يا بنية فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفها أنها بركة من

الله تعالى حمدت الله وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء بأخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال أن الذي قدر على أن يؤتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول إذ هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرني به الحسن بن فتحويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ) وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الحمشاوي يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك اني

يخرج منكما عبدا لا يهم بمعصيتي اسمه حيى فهي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه إسم الكلمة لانه بها وجد ويحيي أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك أن أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يامريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت انى أرى مافى بطني يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذى لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذى لا باءة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فتحويه باسناده عن أبى صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذب عليه أن شاء أو يرحمه الا يحيي بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى فذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه الفذاة وقال المدني الحصور الذى لا يدخل فى اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أي ياسيدى قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يارب لله لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغني الكبر وامرأتى عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب كذلك الله يفعل مايشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا فى وحيه أم انكارا لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ماقال عكرمة والسدى أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يازكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحي اليك فى

سائر الامور فقال ذلك دفعاللوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وانما شك فى كيفيته والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أي كيف يكون لى ولد أتجعلنى وامرأتى شابين أم ترزقه كذلو كذا على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكايتك على عبادتى وطاعتى لانه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا أى اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفى بعض الأخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذي بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل إلى أبيه وكان يضىء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب فى صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الأنف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا فى طاعة الله تعالى وقد ساد الناس فى عبادة الله وطاعته

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل أن يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيي اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبىء صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئا وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته

وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفي ثمنه فأعتق وأمرهم بذكره عزوجل وقال مثل الذكر قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (وأماسيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيي أنه أتى بيت المقدس فنظر الي المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى سوارى المسجد فلما نظر الى ذلك أتى أمه فقال ياأماه أنسجي لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتى الى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الأحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأؤامره فى ذلك فلما دخل ذكريا أخبرته بما قال لها يحيي فقال له زكريا يابنى مايدعوك الى هذا وانما أنت صبي صغير فقال له ياأبت اما رأيت من هو أصغر منى ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الي ماقد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يايحيى أتبكى على ماقد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيي مايدعوك لهذا يابنى انما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني قال أنت أمرتنى بذلك ياأبت قال ومتى قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلي قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت أتأذن لى يابنى أن اتخذلك قطعتين من لبد يواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الي السماء وقال اللهم ان هذا ابنى وهذه دموع عينيه وأنت ارحم الراحمين وكان زكريا اذا اراد ان يعظ بنى اسرائيل التفت

عيناوشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بنى اسرائيل وأقبل
يحيى قد لف رأسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى
فانشأ يقول حدثنى حبيبى جبريل عن الله عز وجل ان فى جهنم جبلا يقال له السكران في
أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى
جب قامته مائة عام فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب
من نار واغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج
هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل علي ام يحيى فقال لها يا أم يحيى قومى فاطلبى
يحيى فانى قد تخوفت ان لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه فمرت بفتيان
من بنى اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين
يديه فهام علي وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى
هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا فقال لعلك تطلبين يحيي بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى
ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء
رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يامولاى لا أذوق بارد الشراب حتى انظر الى منزلتى
منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله ان
ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك
الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى
فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من دارى
وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل بظل
سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستوردانى المهالك
فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدى
قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس
على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان
والله أعلم

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال بعضهم كان يحيي عليه السلام في زمن ملك من
ملوك بنى اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدوكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت
ماهرة تبرز للناس وكان يحيي يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة وجهك وكان

كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ما شئت فقالت البنت أستوهب منك أهل الحبس اصنع بهم ما شئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتستروحهم فقال أبوها قد فعلت فامرت أمها باهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بامر أمها وقالت أيها الملك انى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت ابويك فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا في اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين الفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدنيه في مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوي أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء اسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت

أن تبعث الى برأس يحيى بن زكريا فى هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمناه ذكره فى أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذى قتل يحيى ملك من ملوك بنى اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيردو يا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه انها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط فى يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم فى زمانه فأحبته امرأة الملك الذى كان فى زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى أن اقتله ولا يخبر الناس انى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وباهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا فى الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما اتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى أطراف أرديتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان أريتكم علامة تصدقونى بها قالوا فارناها فأراهم طرف ردائه فاخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بنى اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب فى قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف بمريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذى كان

يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء بأخبار الانبياء المامضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمسة عشر سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فاخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت ان التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت

لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقا لأنه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدري فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبته من غير بذر ألم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها

وتتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التى خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد افصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهى كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة ايام عرج به الى السماء فلا ينقطع ابد الدهر منها وانه ينزل فيها والله اعلم

(باب فى ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما اثقلت مريم ودنا نفاسها اوحي الله تعالى اليها ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذى طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزى الي موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها اخت امها ام يحيى فلما دخلت عليها قامت ام يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم اشعرت انى حبلى قالت مريم وانت ايضا اشعرت انى حبلى قالت امرأة زكريا فانى اجد ما في بطني يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها اوحى الله اليها انك ان ولدت بين اظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعنى من عندهم اى فاخرجى * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من ارض مصر فى منقطع بلاد قومها ادرك مريم النفاس فالجأها الى اصل نخلة يابسة وذلك فى زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق اراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء فى مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخري لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ماهو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه فى ساعة وصور فى ساعة ووضع فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وهى بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل

بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا اصفوفا محدقين بها أى محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب باردا اذا شربت منه وفاترا اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدرى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذا قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا لتصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فاطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصاري النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فاخبروه انه حدث فى الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء أعون على هلاك بنى آدم منها لانهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) أنا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا

البحار وكل شيء فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فسكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد أن يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى ابن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ماجئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلي وكل هذا بلغته فى ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبي أشد علي وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا اير يدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يشفى الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع فى زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فاعلمونى بذلك فانى راغب فى مثل مارغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا فى طريق آخر * وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع والله أعلم

(باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها

أسباب ولادتها قال كلي يامريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أولامك عليه فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فادخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فاتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق فقال ياأماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما ياأخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بني اسرائيل وليس بهرون أخي موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمي هرون وقال وهب كان هرون من أفسق بني اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى ان كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فاتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الآية فاقر على نفسه بالعبودية أول ماتكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسي أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها القيصر ملك الروم وكان الملك عليهما من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقي بمصر فان

هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذامات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبى) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال ابو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هى اقرب الارض إلى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى غوطة دمشق وقال أبو العالية هى ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتاعشرة سنة وروى عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يامؤدب لاتضربنى ان كنت تدرى والا فاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسره لى فقال عيسى الألف لا إله إلا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لأهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطي حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب.

(أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله. قال المعلم ما أدرى قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم.

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا

في الدنيا راغبا في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبيء)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن أدله على ماله قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما اعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الاعمى انا اضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فاخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم اخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو اعظم مني شانا ثم لم يلبث الدهقان ان اعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه اهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فامر عيسى يده على افواهها وهو يمشي فكلما امر يده على جرة امتلأت شرابا حتى اتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة (آية أخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وهم يا كلون كذا وكذا فينطلق الصبي الي أهله فيبكي عليهم حتي يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذاهم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت

هاربة الى مصر (آية) أخرى قال السدي لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الارض إذ جاآ بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مغتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ماشان زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسألينى فقالت اخبرينى لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت إن لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم له بشيء فانه قد أحسن الينا وانى آمرا بنى أن يدعو له فيكتفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال إن فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالى لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولى له اذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال اخبرنى على الحق قال فانا أخبرك عندى غلام ماسال الله شيئا الا أعطاه اياه وأنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمراء وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى بعد أن أراه قال عيسى إن أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فساله القاضى فقال عيسى لا أدرى من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن اساله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واتوا به الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلنى فلان على الذى قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قالوا فمن هذا

الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يابني الم انهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو ارحم الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعدما اخرجته من الكتاب الى اعمال شتى فكان آخر مادفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الي عشرة ايام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فاحب ان تكون فارغا منها وقت قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما اريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال ياعيسى مافعلت قال فرغت منها قال اين هي قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى مافعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادها بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسي عليه السلام أوحي الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحي الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ماأمره به فأحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان * ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من في السماء واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت

جبارمن فى السموات وجبارمن فى الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من فى السموات وملك من فى الارض لاملك فيهما غيرك وأنت حكم من فى السموات وحكم من فى الارض لاحكم فيهما غيرك قدرتك فى الارض كقدرتك فى السماء وسلطانك فى لارض كسلطانك فى السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شىء قدير

(باب فى قصة الحواريين عليهم السلام)

قال الله تعالي فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أى ألهمتهم ووفقتهم ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى ابن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثنى عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماومتى العشار ويعقوب بن حلفاولبا الذى يدعى تداوس وشمعون القنانى ويهوذا الاسخريوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم ولم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا اصيادين يصطادون السمك فربهم عيسي فقال لهم ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أناعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربى فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه. قال السدي كانوا ملاحين وقال ابن أرطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا ياروح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أوجبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا ياروح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أوجبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا ياروح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا اسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من انت قال اناعيسى ابن مريم قال الملك اني اترك ملكى واتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ واصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء

قلوبهم وقال عبدالله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها واصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير فهؤلاء حواريوا عيسى ابن مريم عليه السلام فاما حواريوا هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر ان قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيدالله والزبير ابن العوام رضى الله عنهم اجمعين

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت
على يديه بعد مبعثه الى ان رفع صلوات الله عليه)

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة وإذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن انس هو الروح الذى نفخ فيه الروح اضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه و يسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى و يرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش

لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير قال وهب كان الطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرىء الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يرضو أقط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعييا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك (ويروي) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ماهؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم مادعاكم الى هذا قالوا اخفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ماترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالي واذ تخرج الموتي باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فارسلت أخته الي عيسى أن أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قدمات منذ ثلاثة أيام فقالوا الاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك ارسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال أن في هذه المدينه كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يارو ح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الاقتلوه فقال لهم عيسي مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم ياأهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى ابن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتي حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك

ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة ومافيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئا ثم أنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وماحكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ماسأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال ياروح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى انى آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذي قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له (ومنها) ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدها (ومنها) سام ابن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقد قامت القيامه قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوب على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فاتوا به عيسى وهو فى أكفانه والارض لا تاكل أجساد الانبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى ياعزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا لعزير ماتشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله

ورسوله فقالوا ياعيسى ادع لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه إلى قبره فردوه إلى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى ابن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الكلبي لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل في غدائه وبما يأكل في عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوي باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه

(ذكر حديث جامع في هذا الباب)

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاآ إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم اصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان

معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد
فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى
فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى مارأيت مثل هذا قط فقال له عيسى
بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه
الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا إلى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى
جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فمشيا على الماء
فقال له عيسى بالذى أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث
فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعي فدعا عيسى
بظبي فذبحه وشوى منه بعضا وأكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز
وجل فاذا الظبي يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالدي أراك هذه الآية من
صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد ثم مرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب
البقر اجزرلنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى
فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا
قذف بعظامه فى جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى
ياصاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال عيسى السحار ثم
فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معى الا
رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها
فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال أنا الآن أبرىء المرضى وأحيي الموتى قال وكان ملك تلك
القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودى ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتي باب الملك فأخبر
بوجعه فقال أدخلوني عليه فأنا أبرئه وان رأيتموه قدمات فانا أحييه فقيل له أن وجع الملك
قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال أدخلوني عليه
فأدخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم
باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم
عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه
وقام فأنزل اليهودى من الخشبة فقال ياعيسى أنت أعظم الناس علي منة والله لا أفارقك أبدا
فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا الظبي والعجل بعد ما أكلناهما وأحيا هذا بعد

مامات وأنزلك من على الجزع بعدما صلبك كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحد لك و واحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلهما عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى و يعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذمر بالمال ثلاثة نفر فاتوا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فاتنا بطعام وشراب و دواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما الآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا و يصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع اليهما وصل قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم ياخذوا من المال شيئا فتطلعت نفس اليهودى صاحب عيسى الى المال فقال أعطنى المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام (ومنها نزول المائدة) قال الله تعالى اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم مالم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبنى اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ماشئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا ياعيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم

دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها
عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فاكل منها آخر الناس كما أكل أولهم
وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليها
الايدى فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء
وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة
وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا
فقيل لوهب ما كان ذلك يغنى عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم
ياكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا باجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار
نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا
اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال انى منزلها عليكم كما سألتم
فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا
شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان
وستة أرغفة فقال على بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا فى روضة وترافقوا رفاقا كل
رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا
صحاحا ثم قام عيسى يمشى فجعل يلقى فى كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل
الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فاكلوا ماشاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف
وقال الناس جميعا شهدنا أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فانزل الله خمسة أرغفة
وسمكتين فصنع بها ما صنع فى المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك
منهم من لم يشهدوا وقالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد
فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة
أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن
أبى رباح عن سلمان الفارسى أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيما ولا قهقه
ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيأ قط ولا عبث قط ولما ساله الحواريون
أن ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما
نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها
وهم ينظرون اليها وهى تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى

من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء
لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسي لهم أحسنكم عملا يكشف
عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك
منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكي كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله
خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلا من الدسم
وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه
السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة
كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى
فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها
فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن
تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن
أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من
سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام
والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف
وثلثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى
السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدى وهم ينظرون اليها حتى
توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برىء ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا
فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت
اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت
أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدى وهم
ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله الى
عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا
وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا
لعذاب الله فاوحي الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد

نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى ابن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا الثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ما روي أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال ياعبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عزوجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله أنا رجل فى عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت فى هذه الساعة قيل لى أجب فاجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من أليم العذاب أما ان ردنى الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عزوجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسي أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتي انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها فربها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتي فاستيقظ زوجها ففقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هى جاريتى فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسي ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ماتقولين قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما أعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (روي)

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يامعاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فامر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد علي شيأ مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي الا ليكون لكم بي أسوة انكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذلن بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين.

درهما فأخـذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرىء الاكمه والابرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني فلم يصبني الاخير وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء والقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم اني لست عيسي اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل أن الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشيوع بن قنديرا والله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها أخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها اشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى

ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسنى ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله مارجاه وطهره بطهارتى فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى أهبط فيها هي الليلة التى تزخرفها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الأرض التى يأكل أهلها الناس وتوماوليا الي أرض المشرق وفيليبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحيى الي افسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهى أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان فى هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بنى اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرألهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لى من أمره فوالله لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التى صلب عليها فاكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بنى اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هناك كانت أصل النصرانية فى الروم (وقال أهل التواريخ) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام)

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار وللآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها فانطلقا

ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك
يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم
ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها
وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئا فردوا التراب على حاله
وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فأسلم كما ذكرنا
والله أعلم

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد
نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن بكهل في الدنيا وانما معناه
وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي
هريرة قال قال رسول الله ﷺ الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني
أولى الناس بعيسى ابن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل
فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل
مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين
ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء
حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل
كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح
الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع
البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض
أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة
بجنب عمر اقرؤا إن شئتم وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد
ابن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا أهبط الله المسيح
عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الي جانب قبر عمر
فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد
ابن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ كيف يهلك الله أمة أنا في أولها
وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وروماض وقال وهب ويحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما اقربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرىء المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظر الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعيا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (قال وهب) اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرىء الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق وقال وهب بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذبا الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى آنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال

حال الغضب بيني و بين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضروا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ماتتمناه نبرىء الاكمه والابرص ونشفى المرضى والزمنى باذن الله قال فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا ببندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لى عنك سر اعلم أن الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذي تعبدانه لا يقدر على إحياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة ايام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قد مت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مري صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه في غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه ذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذي فطرنى

واليه ترجعون إلى قوله إني آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدي كانوا يرونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق انطاكية فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الجمشاوي باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبـاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو افضلهم

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى امه الا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغي أحد ان يقول أنا خير من يونس ابن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متي وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثني

عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعيا النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقى الخوف فى قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره ان يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى قال لا قال هل سمانى لك قال لا فقال ههنا غيرى أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصرى انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر اسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أعجلنى ربى ان آخذ نعلى فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال اتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فأنذرهم ان العذاب قد حضرهم أن لم يتوبوا قال له التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من امره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس فى صورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما اوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا ارجع اليهم كذابا ابدا اوعدتهم العذاب فى يوم ولا يأتيهم وفى بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى اوعدهم خشى ان يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومى وقد اخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن ابى طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة قام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود غيرهما فلما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما اسرع مادعوت على قومك ارجع اليهم

فادعهم اربعين ليلة أخرى فان اجابوك والا فانى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعة وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب أغيمت السماء غيما أسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى أن تردوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المرى عن عمران الجونى عن أبى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حى حين لا حى يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفى لأن فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها فى وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم العذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومى وقد كذبتهم فانطلق معاتبا ربه مغاضبا الى قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه

أى أن لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذى قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لا نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقال ابن زيد وهو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله ان يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال انا الآبق فقالوا تلقى فى الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه فى الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع فى الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت انى لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه فى البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال أن الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو فى بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد لك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يارسول الله هى ليونس ابن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هى ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى فى الظلمات الى قوله وكذلك ننجى المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله

الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أى بوجه الارض وهو سقيم أى عليل ضعيف كالفرخ الممعط (واختلفوا) فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف أو يزيدون أردت ان أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من اين انت يا غلام قال انا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم أنه إن لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال انى لى بينة فارسلوا معى احدا يشهد فأرسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال انشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه فى مجلسه وقال انت احق بهذا المكان منى قال فاقام لهم امرهم ذلك الغلام اربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شىء عملته بيدى أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا اعمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسك ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة و الارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادى فهبطوا فاذاهم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فأجابهم للدخول فاتى له بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام ماضيا على شبابه وهو ينادى هذا مجلس

الجبارين فوثب يونس من العجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم

* (باب في قصة أصحاب الكهف) *

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله ﷺ يذكر الرقيم قال أن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدت عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشرط أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت علي من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فنميته فبلغت ماشاء الله فمر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي ان لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغي وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حقي فقلت والله ما أسخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فأبيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فأبت علي وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك وأغيثي عيالك فرجعت الى تنشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ماهو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ماشأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم

فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم أبوى وأسقيهما ثم ارجع الى غنمى قال فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فما برحت جالسا ومحلبى فى يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهم اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم وادبين غطفان وايلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر انت ولى الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن اقفال السموات ماهى واخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو واخبرنا عمن انذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس واخبرنا عن خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا فى الارحام واخبرنا مايقول الدراج في صياحه ومايقول الديك في صراخه ومايقول الفرس فى صهيله ومايقول الضفدع فى نقيقه ومايقول الحمار فى نهيقه ومايقول القنبر فى صفيره قال فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على ابن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وماذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما

بدالكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه ان لي عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم فقال نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي قال أقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهي قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن أنذر قومه لاهو من الجن ولا من الانس قال هي نملة سليمان بن داود قالت ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا في الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصى موسى قالوا فاخبرنا ما يقول الدراج في صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك في صراخه قال يقول اذكروا الله ياغافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله قال يقول اذامشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق في أعين الشياطين قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه قال يقول سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول القنبر في صفيره قال يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال ياعلي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقي خصلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدالك فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال علي رضي الله عنه يايهودي هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودي ما اكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرني باسمائهم وأسماء آبائهم واسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى علي كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بارض رومية مدينة يقال لها أفسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع به ملك

من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل فى عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذها دار ملكه و بنى فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقى المجلس مائة وثمانين كوة والغربية كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور فى المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضىء كما يضىء المصباح فى الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت صادقا فاخبرنى ما كانت أسماء الستة فقال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم فى جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم فى صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة فى يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفى يد الثانى جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع فى جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك فى ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن

لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا فى ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس فى عيدله على سريره والتاج على رأسه اذا أتى بعض بطارقته فأخبره ان عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن راسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر فى نفسه وقال لوكان دقيانوس هذا إلها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فاكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا ياتمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يااخوتى قد وقع فى قلبي شيء منعنى عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وماهو ياتمليخا فقال أطلت فكرى في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وما أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكرى في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسى لئلا تميد ثم أطلت فكرى فى نفسى فقلت من أخرجنى جنينا من بطن أمى ومن غذانى وربانى ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا ياتمليخا لقد وقع فى قلوبنا ماوقع فى قلبك فاشر علينا فقال يااخوتى ما أجد لى ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقال الرأي مارأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشى على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعى أعندك شربة ماء اولبن فقال عندى ما تحبون ولكنى أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فاخبرونى بقصتكم فقالوا ياهذا انا دخلنا فى دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فأخبروه بقصتهم فانكب الراعى على ارجلهم يقبلها ويقول قد وقع فى قلبي ماوقع فى قلوبكم فقفوا إلى ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودى قائما وقال ياعلى ان كنت عالما فاخبرنى ما كان لون الكلب واسمه فقال ياأخا اليهود حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم

أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء فى لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروي عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطميرا وهي إحدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائى كان اسمه حمرا وقال الاوزاعى نتوي وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تغنى وأخبرني ابن فتحويه باسناده عن أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه أن اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطفير أخبرنى أبو علي الزهرى باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس و بينوس وساونوس واونوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق القلطى ودون الكركى وقال محمد بن أمنبت القلطى الكلب الصغير وقال ما بقى بنيسابور محدث الا كتب عنى هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الجبرى عنى (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق ياقوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعى جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال ياعلي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين ياأخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم (رجعنا الى الحديث) قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون فى السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال أن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان (رجعنا الى الحديث) قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك

وخرجوا هار بين منك فركب فى ثمانين الف فارس وجعل يقفوا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ماعاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتونى بالبنائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم [illegible] هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من رقدتهم لما [illegible] الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والأشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفى عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الأشجار قد جفت فى ليلة واحدة فألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أى أحل وأطيب فقال لهم تمليخا يا اخوتى لا يأتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى [illegible] وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر بأقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان أمرى عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب يهودي وقال ياعلي ان كنت عالما فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها فقال يا أخا اليهود أخبرنى نبيي محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا انك قد أصبت كنزا فاعطني بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال ألا ترضى أن أصبت كنزا أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى الربوبية قدمات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه واجتمع

الناس ثم أنهم أتوا به الي الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ماقصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال ايها الملك تثبت فى أمرى ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هى من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك فى هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معى أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتي بهم دارا أرفع دار فى المدينة وقال هذه دارى ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا [illegible] وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال له الشيخ أعد على فأعاد عليه فا[illegible] على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدى ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين ه[illegible]نوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام [illegible] عنهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل باصحابك فاخبرهم أنهم فى الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصرانى فركبا فى أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا ياقوم انى أخاف أن اخوتى يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس فقال دعونى منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب فى أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام

فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم
كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبنى على باب الكهف مسجدا
وقال النصرانى بل ماتوا على دينى فأنا أبنى على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب
المسلم النصرانى فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم
لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودى ما كان من قصتهم ثم قال على كرم الله وجهه لليهودى
سألتك بالله يا يهودى أوافق هذا ما فى توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت
حرفا يا أبا الحسن لا تسمنى يهوديا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك أعلم
هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب
وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم
التى كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله فى قلوبهم الايمان وكان أحدهم
وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن
يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج
شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا
ان يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا
اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على
نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم امره الى صاحبه
فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فاقبلا وهما
مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على امر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف فى
الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء
لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال
وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا
أسماءهم وأنسابهم وكتبوا فى لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر
كذا من سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا
شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفى باسناده عن
أبى جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة *وقال وهب بن منبه جاء حوارى من
أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها

صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره ان يدخلها فأتى على حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامى وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام ان الليل لى لا يحول بينى وبينه أحد فيصلى فكان على ذلك الحال حتي أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا فى الحمام فأتي الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى أواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك فى اصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد ان يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعدما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أن راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم ارواحهم من الغد حين اصبحوا وقال محمد بن اسحق مرح أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتي عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الا قتله حتي نزل مدينة أصحاب الكهف وهى افسوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل ناحية وكان دقيانوس قد امر حين دخلها ان يتبع اهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار اهلها وجعلوا يتبعون اهل الايمان في اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت

فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك اهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب و القتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ماقطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على اهل الايمان فمنهم من اقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزناشديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانيه نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذاً شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وانعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذأدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم اولئك الكفرة قالوا لهم ماخلفكم عن امر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا امرهم الى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من اهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال مامنعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبدها في الارض وان تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اماأن يذبحوا لآلهتهم كماذبح غيرهم من الناس وأماأن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الهاأبدا ولن نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذي له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدالك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ماقال له قالوا فلما قالوا له ذلك امر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم مافعلتم فاني سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ماأوعدتكم من العقوبة ومايبنغي ان اعجل لكم ذلك لاني اراكم شبابا حديثة اسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم امر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية ان دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم ان يذكرهم فأتمروا ان يأخذ كل رجل منهم نفقة

من بيت أبيه فيتصدقوا منها و يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجاوس فيسكنون فيه و يعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي انى أحب أحباب الله فناموا حتى احرسكم (رجعنا الي حديث ابن اسحق) فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعاما سرا وكان من أجلدهم وأجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة فيشترى طعاما وشرابا و يستمع و يتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فامر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فاخبرهم ان دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى و يتضرعون اليه و يتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون و يتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فاصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون اني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا الرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم

أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبرو ني عن أبنائكم المردة الذين عصو ني فقالوا له أما نحن فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتيه فالقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قل ثم ان رجلين مؤمنين وكانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا أن يكتباشأن الفتية وانسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي فى ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما فى الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وأنهم كانوا أئمة فى الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيئا وأن يجمع من كان تبدد من

المؤمنين فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة و يبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعاما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيى الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كانما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون فى وجوههم ولا أبشارهم ولا الوانهم شيئا ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم فى المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم أنه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى ناسا

كثيراً محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم أنه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه لم ينم فأخذ كساء وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزداه فرقاً ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره الى جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس على الارض أحد يذكر عيسى الا قتل وأما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرفها فانى أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجهاً ثم أنه اتى فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى فقال افسوس فقال فى نفسه لعل بى مساً أو أمراً أذهب عقلى والله يحق لى أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبنى شر فأهلك هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم ماهم فيه ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعنى بهذه طعاماً فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزاً فى الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لى فى طعامكم فقالوا اي يافتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الاولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه نخفف عليك ماوجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت فى كل شيء كنت احذر منه ثم قالوا والله يافتي انك لا تستطيع أن تكتم ماوجدت ولا تظن فى نفسك أن ستخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدرى مايقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى مايخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة

مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا مايدري مايقول لهم مع مايسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه واخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا أنهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا ياليت شعري ماهو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا * هذا ماحدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن مابه فاخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يافتى فقال ماوجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ماأدري ماشأني وماأدري ماأقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا

دينار لاعذبنك عذاباشديداثم أوثقك حتى تعرفني هذاالكنز الذى وجدت فلما قال له
ذلك قال له تمليخاانبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عماعندى فقالو اسل لا
نكتمك شيأ قال مافعل بالملك دقيانوس قالو اليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى
دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا
فوالله ماأجد من الناس أحدا يصدقنى على ماأقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس
كرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت
لاشترى لاصحابى طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف
الذى فى جبل ناجلوس أريكم أصحابى فلما سمع أرموس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه
آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق
معه أرموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف
لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا ان تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم
بطعامهم وشرابهم فى القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس
فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا
أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الفلاة وسلم بعضهم
على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى دقيانوس ينتظر متى نأتيه
فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف
على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم انهم
سألوه عن شأنه فاخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما
بامر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة
آتية لاريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة
فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين
من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكريوس
وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم فدخلوا هذا
الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم
ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم
رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة

وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أرموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس ان عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله فى ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفىء النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح فسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه فى المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى أدخل على أصحابى فابشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يراهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها ان تطيعك ففعل النبى عليه الصلاة والسلام ما أمره به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه ان ادخلوا الكهف فدخلوا

وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبي الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا باجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى أجابوكم فقالوا يارسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام باجمعهم وبلغناهم رسالتك فاجابوا وأنابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبائي واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى ابن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون القى في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فظع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده والقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى اراد ان يهديه له فقسمه في اهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره ان يجاهده بالمال واحب ان يلي ذلك بنفسه فأقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان لك ربا هو الذى يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشيء كن فيكون وانك انما عمدت الى خلق

من خلقه اصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له ان سأله عن حاله وامره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وافقرهم اليه من التراب خلقت واليه اصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى اثرى على من حولى ومن هو فى طاعتى فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اتعدل افلون الاصم الابكم الذى لا يغنى عنك شيأ برب العالمين الذى قامت السموات والارض بأمره ام تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان فى بدء امره آدميا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى انبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا ارضيا يطير مع الملائكة ام تعدل مخلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح ابن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله باربيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشىء ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فانى أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك الا أن تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه فى خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فأدخل فى جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك

لم يقتله دعا به فقال له ياجرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان ربى الذى
أخبرتك به حمل العذاب عنى وصبرنى لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على
نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا
فى السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مرله بعذاب فى السجن فيشغله عن
كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده فى يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد فى كل
ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة
ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه
ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحى فقلع عنه الحجر ونزع
الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم
قال له الحق بعدوك فجاهده فى الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد
ابتليتك بعدوي هذا سبع سنين يعذبك و يقتلك فيهن أربع مرات وفى كل ذلك أرد اليك
روحك فاذا كان فى القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف
جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك ياجرجيس من أخرجك من السجن
فقال اخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا باصناف العذاب
حتى لم يخل منها شيأ فلما رآها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه
يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه
ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم
عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له فى جب وكانت
صنفا من اصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها أمرها الله عز وجل فخضعت
برؤسها واعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ذلك ميتا وكانت اول موتة ماتها
فلما ادركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله
اليه روحه وارسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما
اصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم هى
التى اخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق جهاده ومت موت
الصابرين فلم يشعر الملك واصحابه الا آخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكوف على عيد
لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما اشبه هذا

الرجل بجرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو انا فلبئس القوم انتم قتلتم ومثلتم فاحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذي اراكم ما اراكم فلما قال لهم ذلك اقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسر عيني فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتي به نفث في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم درس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر أى دابة تطلب أمسخه لك قال كلبا فقال الساحر ادع لى بقدح من ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الاخيرا كنت قد عطشت فعطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذى لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته وهو فى أشد ما فيه من البلاء فقالت له يا جرجيس انا امرأة مسكينة ولم يكن لى مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا فجئتك لترحمنى وتدعو الله أن يحيى لى ثورى فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيى لها ثوريها ثم انه أعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولى لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدى منهما الاشياء يسيرا وقرعتيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان أول شىء بدا لها من ثوريها ذقن أحدها وشعر أذنى الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا الآن كلامك لكلام رجل قد

صبأ اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد أنى برىء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما راى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال له جرجيس ماخلى بينى وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت ياجرجيس أن الهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا إن فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشىء هذه الكراسى والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها أنبوبته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا على وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسى والاوانى كلها وساخت عروقها وتلبست اللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذى تمنى عليه ماتمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم أنه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاه نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو فى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شىء فيها واختلط جرجيس فى جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوقليا لا ندرى ياجرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذى يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التى فى هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن مايصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم أنه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس على

الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر إنسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس ياشيخ ما إسمك فقال ياجرجيس إسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى مافعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء إلا وقد عذبتموه به إلا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال إياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله تعالى فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيئا وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وانبتت له كل فاكهة تؤكل او تعرف حتى كان مما انبتت اللوبيا والليازوهو مثل البردى يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت اظله من فوقه فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابنى قال لها ادنيه منى فأدنته فبصق في عينه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته إذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له إن تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما شاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفي لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجر وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد به أربعة أوتاد وأمر بعجل فاوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فألقيت في النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يابحر ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى

فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك ياجرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس أنك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن أسجد لافلون سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ثم أنى أفعل مايسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له أعزم عليك أن لا تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما أن أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشى على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب فادع لى هذه الاصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلقك الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرنى أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم ياجرجيس أن الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما

دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيا يذكرون أبدا فقال الملك ياجرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنعت مني فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع نفسها مني وأنا مخلوق ضعيف لا أملك الا ماملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ماتنظرون من هذا الرجل الادعوة فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله ايها القوم في انفسكم فقال لها الملك ويحك يااسكندرة ماأسرع ماأضلك هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا اقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر مني بشيء فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها امر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التي جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت أدع ربك ياجرجيس فيخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ماالذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلي الجنة ينتظران به خروج روحي فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك مالا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم وأسألك أن لا يدعوا بعدي داع في بلاء وكرب فيذكرني وينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته واجبته وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ماوعده ثم احترقت المدينة بجميع مافيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس في ايام ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العرقي باسناده عن ابن أبي نجيح أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بنى اسرائل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قري الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة اميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطى قوة فى البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم فى الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا الا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فأوثقى يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له اجرب به قوتك مارأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم انى قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها فى عنقه فلما نام جعلتها فى عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك مارأيت مثلك قط فهل فى الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما انا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان امى كانت اخبرتنى ان لا يغلبنى شيء ابدا ولا يغيظنى الا شعرى فلما نام وثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا واخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا اعينيه واوقفوه للناس بين ظهرانى المدينة وكانت مدينة ذات اساطين وكان ملكهم قد اشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس ان يسلطه عليهم فأمر ان يأخذ بعمودين من عمد المدينة التى عليها الملك والناس معه فيجذ بهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت ايضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما اصابوا من جسده تاما وعاد كما كان

وكانت قصة شمسون في ايام ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة اصحاب الاخدود)

قال الله تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث لى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبدالله بن السامرى يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطيء عند الراهب ويأتى المعلم فيضربه ويقول له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسنى أبى واذا أتيت أباك فقل حبسنى المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فربها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ويشفى المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد على بصرى فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجىء بالغلام فقال له الملك يا بنى قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه

الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذو كذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع
عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بماشئت فرجف بهم الجبل
فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك فقال كفانيهم
الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به فى قرقور وهي السفينة
واطرحوه فى البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فى البحر وغرقوه
فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بماشئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا
وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه
بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره فى الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا انه هو
وأصحابه على الحق ثم أن الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما آمرك به
فقال وماهو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فتصلبني على جذع وترميني بسهم
وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فأصابه فى صدغه فوضع
يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولا دين الا دينه
فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب
الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس
عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه فى الاخدود فاحترق وكانت
امرأة قد اسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن
دينك والا القيتك انت واولادك فى النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقى فى النار ثم أخذ
الاوسط وقال ارجعي عن دينك فابت فالقى أيضا فى النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي
فابت فامر بالقائه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير ياأماه لا ترجعي
عن الاسلام فانك على حق ولا بأس عليك فالقي الصبي فى النار وامه على اثره وقد روي
هذا بنحو ماذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اخبرنا) ابو القاسم الحسين بن محمد بن
الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم
ستة فى المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة فرعون ويحيى بن زكريا
وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود (وقال سعيد بن المسيب)
كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران
وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث

وجدتموه وقال مقاتل كان اصحـاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشـام وآخر بفارس حرقوا بالنار اما الذي بالشام فانطياخوس الرومي احرق قوما من المؤمنين واما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما اخبرنا عبدالله بن حامد باسناده عن ابن أروي قال لما هزم المسلمون اهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر فاجتمعوا وقال اي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول ايها الناس ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله احل لـكم نكاح الاخوات فقـال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا ما جاء بهذا نبي ولا انزل علينا في كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت ابسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فقـال لها ان الناس قد ابو قالت فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا قالت خدلهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن ابي فاقذفه في النار فخدالاخدود واوقد فيه النيران وعرض اهل مملكته على ذلك فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق واما الذي في اليمن فهو يوسف ذونواس ابن شرحبيل بن تبع بن يشرح الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذونواس بين النار واليهودية فابوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الـكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين الفا فلما قذفوا في النار خرجت النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنى عشر ذراعا ونجا ذونواس فسلط الله عليهم ارياطا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معديكرب

أتوعدني كانك ذورعين * بانعم عيشة اوذ ونواس

وقد ماكان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي

فقدتم عهد من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسي

فامسى اهله بادوا وامسى * ينقل فى اناس من اناس

(باب قصة أصحاب الفيل وبيان مافيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن يشار كان من حديث أصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ماكان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبدالله بن السامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى فى النار الارجلا من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم فى الرمل فاتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يأمره بنصره فلما قدم على النجاشى بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذى نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها أرياط فعمل بما أمره النجاشى فقال ذو جدن الحميرى فيما أصاب أهل اليمن

دعينى لا أبالك لم تطيقى	لحاك الله قد أنزفت ريقى
بذا عزف القيان اذا انتشينا	اذنسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا	اذا لم يشكنى فيها رفيقى
وان الموت لا ينهاه ناه	ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب فى أسطوان	يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذى بثت عنه	بنوه ممسكا فى رأس نيق
لمتهمه وأسفله حروث	وجر الموجل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه	اذا يمسى كومضان البروق
فاصبح بعد حدته رمادا	وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التى غرست اليه	يكاد البسر يهصر بالعذوق

وأسلم ذو نواس مستبينا   وحذر قومه ضنك المضيق

قال فاقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا نلقي الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الى فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحيما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ماصنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق راسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا فى أمرك وكنت أعلم بامر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فابى فقتلته وقد بلغني الذى حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي وبعثته اليك ليطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بمن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي أنى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقذر فيها تهاونا بها وتغضبا للكعبة فبلغ ذلك أبرهه ويقال أنه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذى يحجونه سمع بالذى قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نفر فأتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لى خير لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار

خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وها أنا أنادي على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف فخرج اليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيننا هذا الذي تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعث أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميري الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلي بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بيته وبين ذلك فهو كذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشية ولكني سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله أن يصنع لك عند الملك مااستطاع اليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطي ويطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي واني أحب مايصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاء ناغير ناصب لك حربا ولا يخالف عليك يستأذن عليك وأنا أحب ان تأذن له فيكلمك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ماحاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب

حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها الى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى في مائتى بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى فقال له انت وذلك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى كنانة وخويلد بن واثلة الهذلى وهو يومئذ سيد بنى هزيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما اردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا ... يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ... فامنعهم ان يخربوا قراكا

(وقال أيضا)

لاهم ان المرء يمنع ... رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك
جروا جموع بلادهم ... والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا اجلالك
ان كنت تاركهم ... وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه فى بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشى بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبى لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثناعشر فيلا وانما وجه على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل

الاعظم فأخذ بأذنه وقال ابرك محمودوارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى أن يقوم فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان فيلا خرج من عندهم وصعد فى الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كانياب السباع وقال سعيد ابن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال ابو الجوزاء أنشاها الله فى الهواء فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أى سنك كل قال ابن مسعود صاحت الطيور ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأي ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب ... والاشرم المغلوب غير الغالب

(وقال أيضا فى ذلك)

ألا حييت عنا يا ردينا ... نعمناكم مع الاصباح عينا
ردينه لو رأيت ولم تريه ... لدى جنب المحصب مارأينا
اذا العذرتنى وحمدت أمرى ... ولم تأسى على مافات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا ... وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبدالله بن عمر أن طير الابابيل كانت أقبلت من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الجمال وأكبرها كالابل البزل

مارمت أصابت وماأصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل و بعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة اتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من أصحابه فمامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سند حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فاخبروه فأسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبومسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب ياأبامسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا واثبتها فى الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال ابو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال ارى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ماأعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها لطير بارضنا غير مؤنسة قال ماقدرها قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخزف قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حازت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالهم اهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا

فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذاهم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فأسا وحفر حتى أعمق فى الارض فملأها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك وأخيرك فاختر فان شئت أخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع فى حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى أن ماتا (وقال الواقدى) باسانيده أغزى النجاشى ارياطا فى أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكره الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياطا وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لأبنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله ان يبعث اليه بفيله محمود وكان فيله لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لاتصيب شيأ الا هشمته وبعث الله سيلا أتى عليهم فذهب بهم الى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة

الاخر فتشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤى فيه الجدرى والحصبة وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك

ان آيات ربنا بينات ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كانه معقور
حوله من رجال كندة فتيا ن مصاليت فى الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا أبرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فأخبره بما أصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فأرى الله النجاشى كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدى) كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا فى تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقى قال حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبى الجوزاء قال سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لغياث بن أسيم الكنانى يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بى امى على روث الفيل ويدل عليه أيضا ماروى ان عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله الذي قص علينا فى كتابه المبين من أخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذى قلب منيب ليستيقظ الغافلون ويعلم الجاهلون والصلاة والسلام على من أطلعه على ما كان وما يكون وآله ذوى العلوم اللدنية وأصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهية

(وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعرائس الحاوى من أخبار نفائس النفائس للعلامة الفاضل واللوذعى الكامل أبى اسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله وأثابه رضاه آمين

فهرست كتاب قصص الانبياء المسمي بعرائس المجالس

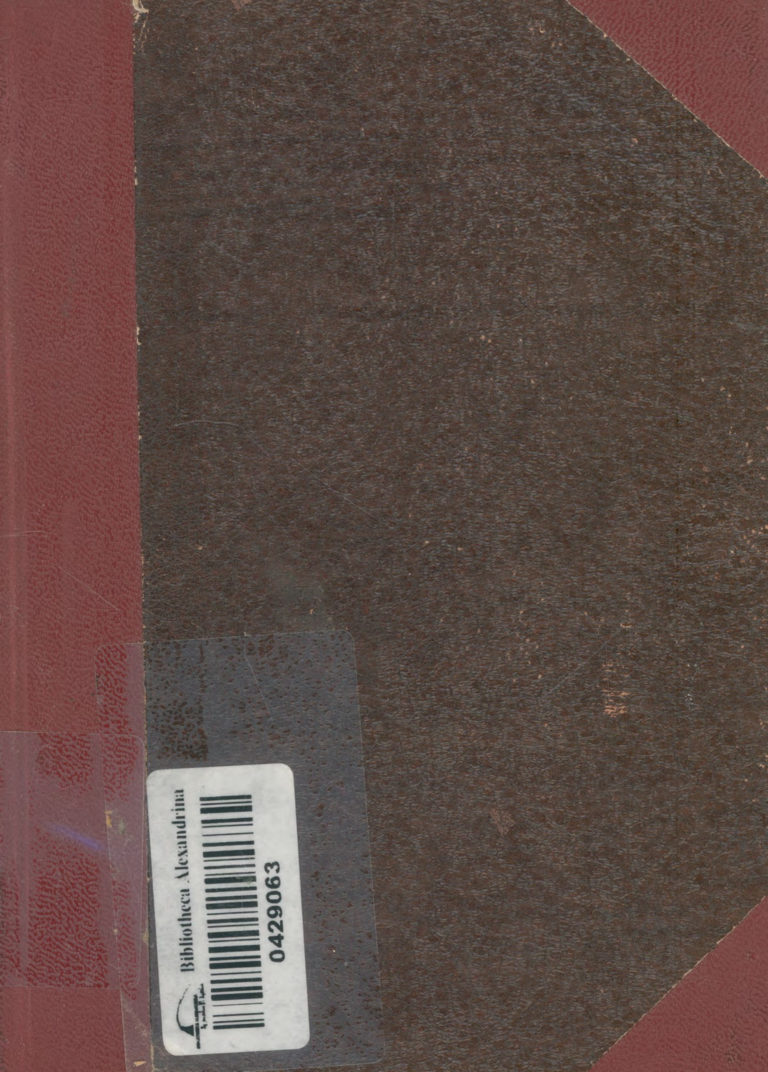
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت


Bibliotheca Alexandrina
0429063